الدين وأثره
في بناء الفرد والمجتمع

بقلم
الدكتور
سامي عفيفي حجازي
الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والفلسفة
بالكلية

تمهيد

إن قضية الدين ، ليست أمرا على هامش الشعور واللاشعور أو أمرا عارضا يجوز لنا أن نغفله أو نتركه فى بؤرة النسيان ، وإنما هو أمر يتعلق بوجود الانسان ومصيره ؟ .

وهذا الدين الذى حمله الأنبياء هو الإسلام قال تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام »(١) كما أنه علم على هذا الدين الذى ارتضاه الله لعباده والذى قال عنه « أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون »(٢) وقال تعالى : « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه »(٣) ولذا فالدعامة التى يقوم عليها بناء الإيمان فى ذات الإنسان هى وحدة العقيدة السمحة وما يتفرع عنها من فروع تحصنها وتحميها من المخالفات الفكرية وتبعدها عن الخرافات والأوهام والوثنية ... وهذه العقيدة دليلنا عليها قول الله تبارك وتعالى : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون »(٤) .

ومن هنا يتضح لنا أن مهمة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، لم تكن هى احداث الميل الدينى فى النفس الإنسانية ، لأن هذا الميل فى كل انسان هذا من جانب كما أنه من جانب آخر لم تعرف الإنسانية فى تاريخها الطويل أمه عاشت بلا عقيدة إيمانية وفى هذا المقام يقول الدكتور دراز « إن فكرة التدين فى جوهرها لم تتأخر عن نشأة الإنسان »(٥) .

كما يشير إلى هذا أحد الباحثين فيقول :

(إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية ، حتى أشدها

همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية ... وإن الاهتمام بالمعنى الإلهى وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية)(٦) .

فحياة الجنس البشرى المصورة لنا فى التاريخ فى عمره المديد خير صورة حية لأثر العقيدة الدينية حيث تمتد جذور العقيدة فى أعماق التاريخ امتداد الإنسان نفسه ، فقد نشأت معه ، وارتبط وجودها بوجوده ، فهى خاصة من خواصه ولازمة من لوازمه، وذلك هو ما قرره الفيلسوف :(أجوست سباتنيه) فى كتابه فلسفة الدين حين يقول : لماذا أنا متدين ؟ إنى لم أحرك شفتى بهذا السؤال مرة إلا وأرانى مشوقا للإجابة عنه بهذا الجواب :— وهو أنا متدين لأنى لا أستطيع غير ذلك فالتدين لازم معنوى من لوازم ذاتى)(٧) .

وهو الذى يوقفنا على السعادة الشاملة ، وليست السعادة الأخروية وحدها هى التى نجنى ثمارها باتباع الدين ، وكذلك السعادة الدنيوية أيضاً، ولذا كان الإيمان بوجود الله — عز وجل — أساس مسائل الدين كلها وعنه تتفرع بقية الأمور الاعتقادية التى يجب إيقاظ العقل للتأمـــل فيها ثم الإيمان بها.

وبتعبير آخر تقول :— ان ما تراه من حقائق الكون كلها إنما هو فيض عن حقيقة واحدة كبرى ، إلا وهى ذات الله عز وجل.

ومن المحال أن تدرك ما هية الحقائق المتفرعة قبل أن ندرك منبعها وأصلها الأول.

فكان لا بد إذا لكى تستطيع التعرف على الكون من أن تعرف خالقه أولا(٨)؛

ولذا كان من العناية الالهية أن تكون مسألة البحث عن خالق الكون والاعتقاد به مما يهم جميع الأفراد والشعوب ، من دون اختصاص بجماعة

دون جماعة ،أو بفرد دون فرد ، وذلك لأن القضايا المطروحة فى حياة الإنسان على نوعين :

— نوع يختص بطائفة معينة من الناس كالمسائل الفزياوية والكيماوية .

— ونوع لا يختص بطائفة معينة بل يهم جميع أبناء البشر ،ويعم جميع الناس دون استثناء،ومسألة الاعتقاد بالله الخالق لهذا الكون هى من النوع الثانى إذ يسعى كل إنسان مهما كان لونه وجنسه إلى أن يعرف :

من أين جاء ؟

— ولماذا جاء ؟

وإلى أين يذهب ؟

والأبحاث الاعتقاديه مهمتها الاجابة على هذه التساؤلات المطروحه بالحاح على أبناء البشر بلا استثناء(٩) وذلك لأن العقيدة فطـــرة عامة لكل إنسان .

يقول الماوردى « الدين أقوى قاعدة الدنيا واستقامتها وأجدى الأمور نفعا فى انتظامها وسلامتها ولذلك لم يخل الله تعالى خلقه منذ فطرهم عقلاء من تكليف شرع واعتقاد دين ينقادون لحكمه فلا تختلف بينهم الآراء ويستسلمون لأمره فلا تتصرف بهم الأهواء(١٠) .

كما يقول بارثيملى سانت هيلير : — « هذا اللغز العظيم الذى يستحث عقولنا :ـــ ما العالم ؟ ما الانسان ؟ من أين جاء ؟ من صنعهما ؟ من يدبرهما؟ ما هدفهما ؟ كيف بدءا ؟ كيف ينتهيان ؟ ما الحياة ؟ ما الموت ؟ ما القانون الذى يجب أن يقود عقولنا فى أثناء عبورنا فى هذه الدنيا ؟ أى مستقبل ينتظرنا بعد هذه الحياة ؟ هل يوجد شىء بعد هـــذه الحياة العابرة ؟ وما علاقتنا بهذا الخلود ؟ .

هذه الأسئلة لا توجد أمه ، ولا شعب ، ولا مجتمع ، إلا وضع لها حلولا جيدة أوردیئة . مقبولة أو سخيفه ، ثابتة أو منحولة ،(١١) .

ويتضح ذلك بنظرة إلى تاريخ الدين بل إلى تاريخ الحياة الإنسانية .

هذا هو الإنسان المثقف وغيره كل منهم ينظر إلى ما فى الكون بغية الوقوف على أسرار الكون والوجود .

من أين ؟ وإلى أين ؟ وكيف ؟ ولماذا ؟

ولا تنقضى هذه الاستفسارات طالما الإنسان على بساط هذه الأرض وتستمر الدهشة وأيضا يستمر التعجب .

فعبر الماضى كانت التساؤلات وفى الحاضر تكون وفى المستقبل لا تنتهى كما أنها لا ترتبط بوقت ولا مكان ولا بجنس معين طالما وجد العقل الذى هو أداة التكليف .

فالعقيدة والإيمان كمعنى أمر قائم بنفس المعتقد عندما يرجع الإنسان إلى نفسه بالتأمل فتنكشف له ظاهره باطنيه ترتبط بكيانه وتكون مقوما ضروريا لطبيعته .

ويكفى ذلك دليلا على أصالة الدين والعقيدة حين تحتفظ بنضارة الوحى الالهى ولم تمتد إليها يد التحريف .

ومن كل ذلك يتضح أثر بناء الدين فى ذات الإنسان وأنه لازم له منذ كان وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وما صفحات هذا البحث إلا بيان وتفصيل لهذه القضية التى تهم كل إنسان أن يقف عليها حتى يرتفع إلى السمو اللائق بكرامته وتجعل منه قوة إيجابية فى الحياة .

* * *

الإيمان

من المؤكد أن لكل مقصد وسيلة ، ولكل غاية بداية . . . وعلى قدر عظم المقصد والغاية ، تكون الوسيلة والبداية .

فالأصل فى بنى آدم هو سلامة الفطرة ، والفطرة هى الإسلام ولكن يطرأ عليها الإنحراف والمخالفة تحت أى طارىء أو ظرف يبعده فى حياته بعد ذلك .

وقد جاءت بعثة الأنبياء لتحافظ على هذه الفطرة ولترد المعوج منها إلى الصواب والرشد مرة بعد أخرى حتى جاءت بعثة خاتم الأنبياء سيدنا محمد — ﷺ .

نعم لقد كان هبوط الوحى برسالة الإسلام وعقيدة التوحيد أعظم بناء فى تاريخ الإنسانية عامة ، حيث سجل التاريخ وشهدت البشرية أمة تخرج للوجود وتعيد صياغة الحياة للإنسان فى كل زمان ومكان .

أمة استطاع الرسول — ﷺ — أن يجعل أساس وحدتها ومصدر قوتها عقيدة التوحيد الخالدة ، ولذا فلقد جاءت شهادة الحق تبارك وتعالى لهذه الأمة بقوله سبحانه « كنتم خير أمة أخرجت للناس « تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » (١٢) .

ومن هنا كانت العقيدة التى جاء بها الإسلام للمسلمين هى النافذة التى يطل منها المسلمون على العوالم الحية ، بكل شعب هذه العوالم كما كانت العقيدة الإسلامية ذاتها هى المنظار الذى ترى بواسطته كافة حقائق الحياة والسلوك ، ويفسر الإنسان على ضوء هذه العقيدة مجرى حياته ومرساها . . .

ان مصدر الفاعلية فى عقيدة التوحيد كان الأساس الفكرى والوحى لإطار أخلاقى سلوكى يحدد لإنسان العقيدة المؤمن بها ، والمؤتمن على سيادة قوتها أسلوب التعامل مع الحياة والمجتمعات ، وما هذه الخيرية المتحققة للأمة بصفتها أمه واحدة إلا من خلال العقيدة الواحدة وكأنما تشير إلى جانب مهم ويتمثل فى أن الاستقرار الأمنى والسياسى . . . لهذه الأمة إنما هو مرتبط أيضا بلسان الحال كما هو مرتبط بلسان المقال ، ومتى انفصل أحدهما عن الآخر لم تكن بعد ذلك أمه وإنما أفرادا ...

وعلى هذا يتضح أن الجانب الإيمانى العقدى فى الإسلام ليس عملية وجدانية بعيدة عن الأخلاق والسلوك ، أوكما قد يعتقد البعض علاقة بين العبد وربه محلها القلب ولا صلة لها بواقع الحياة ، وإنما الإيمان له مقتضى عملى ينبغى أن يتحقق فى واقع الحياة الدنيا وهو تغطية شئون الحياة جميعها بمقتضى التعاليم الإلهية التى يقام عليها بناء الإسلام فى نفس المسلم ، ومالم يتحقق ذلك يظل الإيمان منفصلا عن الواقع الذى يترجم عنه الانفصال بين المسلم وإسلامه . وهذا ما تصوره النقاط التالية :

* ليس بمجرد إعلان الإنسان بلسانه أنه مؤمن يكفى لأن يكون الإيمان الحقيقى كما بين ذلك الحق تبارك وتعالى « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا ، وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون » (١٣) .

* كما أنه ليس بمجرد قيام الإنسان بأعمال وشعائر اعتيد أن يقوم بها المؤمنون ... وقلوبهم خالية من الخير والبر والإخلاص والصدق لله وهذا ما يشير إليه قول الحق تبارك وتعالى « إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا » (١٤) .

* كما أنه ليس بمجرد معرفة ذهنية بحقائق الدين والإيمان ، فكم من البشر عرفوا حقائق الإيمان والتوحيد ، ولم يؤمنوا . كما فى قول الحق تبارك وتعالى .

« وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا » (١٥) . وحالهم قائم على المخالفة التى بنيت على الأمراض الداخلية من الحقد والكبر والحسد . . . وبين حالهم وبين الإيمان بما علموه من بعد ما تبين لهم الحق . قال تعالى مصوراً حالهم ، « وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » (١٦) ومن هذا المنطلق يحذر الرسول — ﷺ — الأمة من هذا الإدعاء الشائع فى كلمته الجامعة « ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل — وإن قوما غرتهم الأمانى يقولون نحسن الظن بالله كذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل (١٧) .

ومن هنا يتضح أن الإيمان فى حقيقته ليس بمجرد عمل لسانى ولا عمل بدنى ، ولا عمل ذهنى منفصل أحدهما عن الآخر ، وإنما الإيمان فى حقيقته عمل نفسى يبلغ أغوار النفس ، ويحيط بجوانبها كلها من إدراك وإرادة ووجدان . حتى يقام التكامل بين الجسد والروح .

كل هذه الأبعاد الإيمانيـــة لمعنى العقيدة تخالف ما أشيع فى بعض المجتمعات البشرية حيث وضعوها فى غير موضعها فأصبحنا نقرأ عن إيمان واعتقاد بما لا ينبغى أن يكون لأن الإيمان لا يكون إلا لله تبارك وتعالى .

وليقل هؤلاء أو أولئك ما شاءوا من إيمان بالوجودية أو بالشيوعية . . . فلن يضيرنا ذلك إذ حددنا نحن الإيمان الذى ينبغى أن يكون كما تشير صفحات هذا البيان إليه . إنه الإيمان الذى لا تدل هذه الكلمة على غيره عند إطلاقها الإيمان « الدينى » الذى صحب البشرية منذ طفولتها ولم

يفارقها فى صباها أو شبابها وكهولتها ، ولم يزل سلطانه رائداً لتصرفاتها وأعمالها (١٨) .

إنه الإيمان الذى يتجسد فى خاتمة العقائد السماوية ، عقيدة الإسلام كما بينها القرآن الكريم وهدى خاتم الأنبياء والمرسلين متمثلة فى الإيمان بالله والإيمان بالنبوات والإيمان باليوم الآخر .

إن الإيمان الحق هو الذى تشرق شمسه على جوانب النفس كلها فتنفذ إليها أشعتها حاملة الضوء والحرارة والحياة . نعم تنفذ هذه العقيدة إلى العقل فتقنعه و تطمئنه ، وإلى القلب فتهزه وتحركه ، وإلى الإرادة فتدفعها وتوجهها ، وإذا اقتنع العقل ، وتحرك القلب ، واتجهت الإرادة ، استجابت الجوارح وامتثلت للعمل الذى يدفع إليه بناء الدين فى ذات الإنسان (١٩) .

والمتأمل لما جاء به الإسلام من حقائق يراها تشتمل على مسائل كثيرة وموضوعات متعددة ولكنه يمكن إرجاعها إلى أقسام ثلاثة هى :

أولا : العقيدة .

ثانيا : الشريعة .

ثالثا : الأخلاق .

• فالقسم الأول : يتحدث عن أمور تتعلق بأمر قلبى أو بتعبير أوضح يتعلق بمعتقد محله القلب إذ هو تصديق وإذعان يكون فى النفس الإنسانية مستتراً فيها وذلك كالتصديق بوجود الله سبحانه وتعالى والتصديق باتصافه بصفات الكمال وغير ذلك من الأمور الاعتقادية النظرية التى تتعلق بالاعتقاد ودائرته الفكر والنظر .

وهذه الأمور تسمى فى تعبير القرآن الكريم باسم الإيمان كما تسمى فى العرف العام باسم العقيدة .

وقبل أن نمضى لبيان تفاصيلها ينبغى أن نقف على بيان المعنى البيانى لها .

مفهوم كلمة العقيدة فى اللغة : —

العقيدة من عقد بمعنى معقودة بمعنى اسم المفعول . تقول العرب عقد الحبل والبيع والعهد « يعقده : شده . والعقد : العهد »(٢٠) .

فكأن العقيدة هى العهد المشدود والعروة الوثقى « وذلك لاستقرارها فى القلب ورسوخها فى الأعماق ، تعنى بهذا الإرتباط الوثيق والإلتزام القوى حسيا كما فى الأول أو معنويا كما فى الثانى والثالث »(٢١) .

فكلمة العقيدة مأخوذة من العقد وهو الجمع بين أطراف الشيء ويستعمل ذلك فى الأجسام الصلبة كعقد البناء ، أعقدت البناء جعلت له عقودا ، والتعاقد التعاهد . والمعاقد المعاهد . واليعقد عمل يعقد بالنار ، وأعقدت العنب إذا أغليته حتى غلظ . ثم يستعار للمعانى نحو عقد البيع والعهد وغيرهما كأنك ربطت بين أجزاء التصرف ، أى الإيجاب والقبول بعضها ببعض (٢٢) .

ومن خلال هذا البيان اللغوى يستبين لنا أن لفظ العقيدة بمشتقاته المختلفة يدور حول الإحكام والتوثيق .

ومن هنا ساغ لنا اطلاقها على ربط القلب بفكرة أو رأى معين يدور حوله ويتصرف بمقتضاه . ويكون منطلقا لسلوكه .

وكلمة العقيدة من الألفاظ الكلية التى لا يتحدد مفهومها إلا بما تضاف إليه ، غير أنها من حيث اشتقاقها تدل على مفهوم عام لكل ما يعقد المرء عليه عزمه ، ويجعله مناط تصميمه مهما كلفه من أمر (٢٣).

يقال عاقدته ، وتعاقدنا ، وعقدت يمينه قال تعالى « والذين عقدت أيمانكم فأتوهم نصيبهم »وقرىء عاقدت أيمانكم ،ومنه قيل لفلان عقيدة (٢٤)

وقد وردت مادة العقد فى القرآن الكريم عدة مرات (٢٥) .ولم ترد بصيغة العقيدة لا فى القرآن ، ولا فى معاجم اللغة (٢٦) . إلا فى المصباح المنير ، فقد ذكر فيه الفيومى أن « العقيدة ما يدين الإنسان به . فهى الإيمان بحقيقة معينة ايمانا قطعيا لا يقبل الشك أو الجدل (٢٧) .

وقد ذكر المعجم الوسيط : « أن العقيدة هى الحكم الذى لا يقبل الشك فيه لدى معتقده ، ويرادفها الاعتقاد والمعتقد ، وجمعها عقائد وتطلق فى الدين على مايؤمن به الانسان ويعتقده » (٢٨) .

ومما يؤيد ما استنتجناه من خلال الاستعمال اللغوى وورود هذا اللفظ بمشتقاته فى القرآن الكريم على النحو الذى أشرنا إليه ، أقصد التوثيق والإحكام ،فهى مشتقة من العقد تقول : عقدت الحبل إذا شددته وأحكمت فتله ، بحيث إذا تركته لا ينتقض . فالعقيدة تعنى الارتباط وهذا الارتباط يتميز بالقوة والإحكام ، كما يتسم بالثبات والاستمرار والاستقرار وهذه السمات توحى بها كلمة عقيدة أكثر مما توحى به كلمة عقد أو عقدة .

ولأجل هذا ترى عبارة العروة الوثقى لم تأت فى القرآن الكريم إلا مرتين ، وكلتاهما فى مجال التعبير عن العقيدة الصحيحة التى جاء بها الإسلام

حيث يقول الحق تبارك وتعالى : « فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم »(٢٩) .

هكذا صورت الآية الإرتباط الصحيح بالإيمان بالله بأنه استمساك بعروة محكمة وأنها بهذه الصورة لا يتصور أن تضعف أو تحل . وقوله تعالى : « ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى »(٣٠) .

وقال تعالى : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون »(٣١) وقال تعالى : « وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى » (٣٢) وإلى هذه الوسائل الإيمان والعمل الصالح يشير النبى صلى الله عليه وسلم ، فيقول : « قل آمنت بالله ثم استقم » (٣٣) ويقول : « أكمل المؤمنون إيمانا أحسنهم أخلاقاً » (٣٤) .

فالعقيدة هى العروة الوثقى التى تلتقى فيها الأواصر البشرية ، ومن مجمل التعريفات اللغوية للعقيدة نستطيع أن نلمح معنى يربط بين ما يؤمن به الإنسان ويراه عن اقتناع قلبى أكيد وبين معنى العقد ، «فالعقيدة هى المعتقد النفسى الذى تطمئن إليه النفس ويمتلىء به القلب»(٣٥) وعلى ذلك تكون العقيدة متفقة مع جوهر الدين ، وقد تكون مناقضة له إلا أنها تملأ القلوب وتلفظ ما عداها وتوجه حياة الإنسان فى طريق معين يتفق معها فتجعل الإنسان يتصرف ويتحدث ويعاشر ويقاطع ويحب ويكره إنطلاقاً مما تمليه عليه هذه العقيدة»(٣٦) .

ومن منطلق العقيدة يكون السلوك ، لأن العقيدة التى يدان بها لها من السلطان على صاحبها ما يجعله ينقاد لها ويلتزم اتباعها .

العقيدة والإعتقاد :

والإعتقاد مصدر اعتقد كذا أى اتخذه عقيدة له بمعنى عقد عليه القلب ودان لله به ، وأصله من عقد البيع ثم استعمل فى التعميم .

والإعتقاد الجازم : يطلق على التصديق وعلى ما يعتقده الإنسان من أمور الدين(٣٧) وقيل العقيدة هى الضابط الذى يحكم التصرفات ويوجه السلوك فهى دماغ التصرفات (٣٨) . وقيل العقيدة هى ما يجب شرعاً اعتقاده فالجامع بين العقيدة والمعتقد هو التسليم والاطمئنان ،لأن المعتقد يوجد أمنا عند صاحبه ، فيستقر بمعتقده لمطابقة باطنه لظاهره ، وموافقة اعتقاده لعمله فيتحقق له الأمن والاطمئنان .

ولذا كان لفظ العقيدة فى لسان العرب وفى محكم التنزيل له هذه الأبعاد السامية فماذا ينبغى للإنسان ؟

ينبغى للإنسان أن يبذل أكبر الجهد فى تصحيح الإعتقاد وأن يكون اعتقاده أهلا لذلك ، لله الحق « رب السموات ورب الأرض رب العالمين وله الكبرياء فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم »(٣٩) .

والمعنى الذى نخلص إليه من كل هذا أن كلمة العقيدة فى لغة العرب تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له ، فالمادة كلها تدور حول لزوم الإنقياد فهى ما يتمسك به الإنسان ويلتزمه فى سلوكه فلا يؤمن إلا بها ولا يخضع إلا لها ولا يأخذ إلا بتعاليمها ولا يحيد عن سننها وهديها .

ويبين ذلك صاحب كتاب الخلق الكامل فيقول : « إن أهل العقيدة

الصحيحة وذوى العقول السليمة يعتقدون أن للخير نتائج باقية ، وأن هذا الإعتقاد هو الذى يحبب إلى الجندى بذل روحه فى خدمة وطنه ، وهو الذى يبعث بالمحسنين إلى بذل أموالهم فى سبيل البر ، وهو الذى يدفع دعاة الإصلاح وهداة الأمم إلى استعذاب ما يقاسون من أنواع العذاب »(٤٠) .

فكلمة العقيدة كما تدور فى اللغة حول لزوم الإنقياد والتصديق الذى لا يخالطه شك أو ريبة ، فهى أيضاً قوة فى كيان الجماعة تربط بين قلوب معتنقيها برباط من المحبة والتراحم(٤١) .

« والعقيدة بهذا المعنى حاجة نفسية لا بد من تلبيتها ، فهى قوة دافعة لا يقف شىء أمامها متى كانت صادقة خالصة لا يشوبها نفاق أو انحراف(٤٢) وبها كان ما عرفنا وعرف التاريخ كما قلنا من الإيمان بالتضحية والإستشهاد فى سبيل ما يعتقده المرء حقاً ، وبها كانت التضحية أمراً عذباً تقبل عليه النفس فى فرح واستبشار .

فالعقيدة هى العهد ، والعروة الوثقى وذلك لاستقرارها وثبوتها فى القلب .

• • •

العقيدة فى الإصطلاح الشرعى :

هى مجموعة من قضايا الحق الجلية المسلمة بالعقل والسمع والفطرة. يعقد عليها الإنسان قلبه، ويثنى عليها صدره جازماً بصحتها، قاطعاً بوجودها وثبوتها، لا يرى خلافها أنه يصح أو يكون أبداً ، وذلك كاعتقاد الإنسان بوجود خالقه وعلمه به، وقدرته عليه، ولقائه به بعد موته ونهاية حياته ومجازاته إياه على كسبه الاختيارى وعمله غير الاضطرارى وكاعتقاده بوجوب طاعته فيما بلغه من أوامره ونواهيه من طريق كتبه ورسله، طاعة تزكو بها نفسه، وتهذب بها مشاعره وتكمل بها أخلاقه وتنتظم بها علاقته بين الخالق والحياة »(٤٣).

فالعقيدة هى الجانب النظرى الذى يطلب الإيمان به أولا وقبل كل شيء إيمانا لا يرقى إليه شك ، وهى أول ما دعا إليه الرسول — ﷺ — وطلب من الناس الإيمان به ومن ثم لن تكون العقيدة عقيدة كاملة ولن يكون الإنسان صاحب عقيدة إلا إذا كانت أعماله وسائر ضروب حياته صادرة عن هذه العقيدة ومعبرة تماماً عنها ، وبهذا نرى السر فى أن القرآن الكريم قد خصص العقيده باسم الإيمان كما سبق فى عرضنا لتعريف العقيدة (٤٤) حيث قال تعالى : « الذين آمنوا وعملوا الصالحات. طوبى لهم وحسن مآب »(٤٥) وقال تعالى : « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم » (٤٦) وقال تعالى : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا »(٤٧) وكذلك كان التعبير النبوى الشريف عن هذا الجانب فقد روى البخارى عن. أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : « بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ

إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبى — ﷺ — فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد أخبرنى عن الإسلام ؟ فقال رسول الله — ﷺ — الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان ، وتحج البيت إذا استطعت إليه سبيلا : قال : صدقت . قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه.

ثم قال : فأخبرنى عن الإيمان . قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت..الخ(٤٨).

فالمبادىء التى لابد للمؤمن أن يؤمن بها ذكرها القرآن الكريم وكلف المؤمنين الإيمان بها . فهى أحكام شرعية نحن مطالبون بالإيمان بها . كما أننا مطالبون بما أمر الله به فالاعتقاد لعمل دينى أمر شرعى »(٤٩) .

وقد عبر مؤرخوا الفكر العقدى عن مسائل العقيدة فى الإسلام باسم أصول الدين فنرى الشهرستانى يقول : « قال بعض المتكلمين الأصول معرفة البارى تعالى بوحدانيته وصفاته ، ومعرفة الرسل بآياتهم وبيناتهم وبالجملة كل مسألة يتعين الحق فيها بين المتخاصمين فهى من الأصول ومن المعلوم أن الدين إذا كان منقسما إلى معرفة وطاعة والمعرفة أصل والطاعة فرع فمن تكلم فى المعرفة والتوحيد كان أصوليا ، ومن تكلم فى الطاعة والشريعة كان فروعيا والأصول هى موضوع علم الكلام . والفروع هى موضوع علم الفقه »(٥٠) .

كما أشار ابن خلدون فى مقدمته عن عقائد الإسلام التى هى موضوع الإيمان فقال : « واعلم أن الشارع وصف لنا هذا الإيمان الذى هو فى المرتبة الأولى ، الذى هو تصديق وعين أمورا مخصوصة كلفنا التصديق بها بقلوبنا ، واعتقادها فى أنفسنا مع الإقرار بألسنتنا وهى العقائد التى تقررت فى الدين » (٥١) .

فالعقيدة هى الجانب النظرى الذى يطلب الإيمان به أولا وقبل كل شيء، إيمانا لا يرقى إليه شك كما قلنا فهى أول مادعا إليه الرسول ﷺ وطلب من الناس الإيمان به، واقبال النفس عليه.

والعقيدة كعلم مختص بالجانب الاعتقادي أوضحها أيضاً سعد الدين التفتازانى أحد أقطاب علماء العقيدة فى شرحه للعقائد النسفية فى عبارته التالية هو بصدد تقسيمه للحكم الشرعى. وأعلم أن الأحكام الشرعية منها ما يتعلق بكيفية العمل وتسمى فرعية وعملية، ومنها مايتعلق بالاعتقاد وتسمى أصلية واعتقادية والعلم المتعلق بالأولى يسمى علم الشرائع والأحكام وبالثانية علم التوحيد والصفات» (٥٢) ومعنى ذلك أن الحكم سواء تعلق بالاعتقاد القلبى أو بأعمال المكلفين فهو حكم شرعى. ويوضح الإيجى موقفه من علم الكلام شارحا أن مهمة هذا العلم بيان العقيدة فيقول: «والكلام علم يقتدر معه على اثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه والمراد بالعقائد مايقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل وبالدينية المنسوبة إلى دين محمد — عليه السلام — (٥٣)

ومن خلال تعريفات مؤرخى الفكر العقدى للعقيدة وتخصيص القرآن الكريم للعقيدة باسم الإيمان وأنها أصل الدين نخلص إلى أن: الاعتقاد هو العلم وأن العلم أعلى درجات المعارف فإذا تأصل فى النفس وامتزج بدم الإنسان وانعقد عليه قلبه واطمأنت إليه نفسه سمى عقيدة وهذا المفهوم متناسب ومترابط مع المفهوم اللغوى السابق للعقيدة.

ونرى فى نهاية هذا المقام أن هناك صلة بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى فى مفهوم العقيدة، فالعهد، والحكم. والإيمان كلما اشتد فى القلب كان عقدا. والعقد والعقيدة هى الشيء الموثق فى القلب مع الجزم واليقين. والعقيدة هى: مايجب شرعا اعتقاده والتصديق به تصديقا جازما لاشك فيه. وقد بين القرآن الكريم ذلك فى أكثر من موضع قال تعالى:

«قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد» (٥٤) وقال تعالى: «الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات ومافى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم» (٥٥). وقال تعالى: «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا» (٥٦)

وهذه الآيات الكريمة تبين جوهر الدين وأساسه، فالعقيدة هى لب الأديان السماوية وقد جعل الإسلام مفتاح هذه العقيدة بكلمة الشهادتين «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله»، ولما كانت العقيدة هى حجر الزاوية فى بناء روح الأمة افتتح الإسلام بها دعوته» (٥٧) فالشهادة بوحدانية الله تتضمن كل العقيدة فى الله وتنزيهه عما لا يليق به. فعقيدة الإسلام هى كلمة الله الجامعة وهدايته البالغة كما بينها القرآن الكريم وهى القاسم المشترك بين كل ما جاء من قبل الله تعالى من رسالات وهى عنصر الوحدة فى هذه الرسالات وعلى ذلك فالإسلام دين الوحدة كما هو دين الوحدانية وعلى كل فعقيدة الإسلام فى جملتها تشبه شجرة مباركة جذورها مستقرة فى أعماق القلوب وهذا هو الإيمان ثم تمتد فروعها فى القلب حتى تظهر على اللسان والجوارح وهذا هو الإسلام (٥٨). قال تعالى: «ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها» (٥٩) فالعقيدة إذن معرفة تتغذى بها النفس وتهضمها وتتمثلها وتعدها جزءاً من كيانها، والشجرة المباركة التى قلنا أنها تمثل الدين بعنصريه الإيمان والإسلام الشعيرات الرفيعة التى تنبت من الذراه فى باطن الأرض قبل أن تبرز ساقها إلى سطح الأرض بمعنى أن الفروع العملية التى تمثل الإسلام ليست كلها أعمالا ظاهرة يدركها الحس

بل إن الإيمان يثمر أخلاقا كريمة قبل أن يثمر أعمالا مستقيمة ، فأول ما ينبت منه فى النفس فضائل معنوية كمحبة الله تعالى ورسوله ، ثم تظهر ثمرات هذه المحبة والفضائل النفسية على اللسان والجوارح .. فحقيقة العقيدة فى الإسلام تتفرع إلى ثلاث شعب .

الشعبة الأولى : اعلان هذه العقيدة والإيمان بها فإن من امتلأت نفسه بعقيدة اندفع إلى التعبير عنها وهذه هى الشهادة .

الشعبة الثانية : العمل بما تمليه العقيدة وذلك بامتثال أوامر الله واجتناب محارمه والتزام المرء ذلك فى سره وعلانيته .

الشعبة الثالثة : نشر هذه العقيدة والدعوة إليها والأمر بما تعرفه من معارف والنهى عما تنكره من منكر(٦٠) .

وهذه الشعب الثلاث نجدها واضحة فى كتاب الله تعالى « ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين »(٦١) وغير ذلك من آيات كثيرة عرضت قضايا العقيدة والإيمان وأوردت الأدلة الدافعة إلى ذلك .

القسم الثانى :

يتحدث عن أمور لا تتعلق بقلوب المكلفين من الناس أو اعتقاداتهم وإنما تتعلق بكيفيات أعمالهم وهذه الأمور تسمى فى التعبير القرآنى باسم العمل الصالح وبالتعبير العام باسم الشريعة وقبل أن نعرض لبيان تفاصيلها نقف على حقيقة المعنى العام لها .

فالشريعة فى كلام العرب : شرعة الماء ، وهى مورد الشاربة التى يشرعها للناس فيشربون منها ، والشريعة والشرعة ما من الله به من الدين وأمر به كالصلاة والصوم والزكاة والحج وسائر أعمال البر »(٦٢) ،

فالشرع نهج الطريق الواضح ، وهو فى الأصل مصدر ثم جعل اسما للمنهج واستعير ذلك للطريقة الإلهية من الدين »(٦٣) قال تعالى : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا »(٦٤) .

وقد قال الفيومى : « الشرعة بالكسر الدين والشريعة مثله مأخوذة من الشريعة وهى مورد الناس للاستقاء سميت بذلك لوضوحها وظهورها وجمعها شرائع ، وشرع الله لنا كذا يشرعه أظهره وأوضحه »(٦٥) .

والشريعة فى الاصطلاح الشرعى : تطلق على ما شرعه الله لعباده من العقائد والأخلاق والأحكام فى العبادات والمعاملات وهى بهذا المعنى تساوى كلمة الدين فالشريعة هى النظم التى شرعها الله سبحانه وتعالى ووضع أصولها ليستضىء بها الإنسان فيما هو ضرورى لحياته من علاقات كعلاقته بربه وعلاقته بالناس وعلاقته بالكون الذى يعيش فيه وعلاقته حتى بنفسه وذاته ، فهى فوق كونها ترجمة عملية للعقيدة الواقرة فى القلب فإنها تنظم حياة الأمة الإسلامية فى الداخل والخارج(٦٦) ، ومن هنا فهى لا تطلق عند أهل الشرع إلا على الشرائع المنزلة من عند الله تبارك وتعالى .

ومن بيان المعنى اللغوى والاصطلاحى للشريعة نلاحظ فى يسر أن المناسبة بينهما ظاهرة ، فالشريعة مورد عذب لا يغيض ، وهى الطريقة التى توصل إلى ما به سعادة الدنيا والآخرة . وعلى ذلك فارتباط المعنى الاصطلاحى بمورد الماء قائم لأن الشريعة بمعنى الدين اصطلاحا شبيه بمورد الماء من حيث أنها سبيل إلى حياة النفوس وغذاء العقول .

كما أن مورد الماء سبيل إلى حياة الأبدان وكلاهما ظاهر واضح وذلك بمعنى أن الشريعة نظام تخضع له حياة الفرد والجماعة ، فتنظم العلاقة بين الإنسان الفرد وبين ربه ، وبينه وبين غيره من الأفراد والكائنات ،

الأخرى ، فهى عبارة عن الأعمال التى يقوم بها الإنسان ويؤديها خضوعا لله وإمتثالا لأمره فهى الجانب العملى وهى فرع عن العقيدة .

وإذا كانت الشريعة تختلف فى دين الله من نبى إلى نبى ومن أمة إلى أمة حيث يشير الحق تبارك وتعالى إلى ذلك « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا »(٦٧) فإن الاختلاف فى الشريعة لم ينتج عن ضرورة ذاتية فى الدين نفسه ولكنه أتى نتيجة لظروف الأقوام الذين نزل عليهم هذا الدين وسار أمر الشريعة على هذا كلما بعث رسول نزل عليه من الشريعة قدر أكمل وأتم من الشريعة السابقة ومازال هذا أمر الشريعة ، تسير قدما فى طريق الكمال كلما اقتربت الإنسانية من كمال رشدها حتى جاء الوقت الذى وصلت فيه الإنسانية أوج كمالها فبعث الله إليها بخاتم رسله ومعه أكمل الشرائع وأتمها وأشملها وأعمها قال تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا »(٦٨)، وبهذا الشمول كان الإسلام رسالة الله إلى البشر كافة فى وحدة الإيمان بالله تعالى . . فى جانبه الإيمانى العقائدى أكد هذه الحقيقة التى أكدها كل نبى .

وخلاصة القول :

إن دعوات الرسل جميعاً قد تلاقت فى جوهر العقيدة وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب كما تلاقت باسم العقيدة وهو الإسلام ، واتفقت فى أصول العبادات والأخلاق والتهذيب النفسى قال تعالى : « قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ، إن هذا لفى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى »(٦٩) ، وعلى ذلك نستطيع أن نقول .

أولا : أن القرآن الكريم قد قرر أنه لم تخل أمة من رسول يدعوها

إلى الإيمان بالله وحده ، وإلى العمل بشريعته التى هى طريق السعادة فى الدنيا والآخرة قال تعالى : « ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن أعبدوا الله »(٧٠) .

ثانيا : وحدة الرسالات الالهية من حيث الأصول وذلك أنه قد تتابعت رسالات الله تعالى فى نزولها على الأنبياء والرسل طوال تاريخ الإنسانية إلى إن كان ختامها على يد خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد – ﷺ – .

ورسالات الله تعالى وإن تعددت بتعدد الأنبياء والرسل فهى تختلف فقط باختلاف الشرائع أما من حيث العقائد فهى واحدة ، فعقيدة التوحيد هى وحى الله إلى جميع أنبيائه ورسله قال تعالى مخاطبا سيدنا محمد – ﷺ – خاتم الأنبياء والمرسلين « ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك »(٧١) وقال تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك »(٧٢) .

ثالثا : يلزم على ذلك عدم التفريق بين الرسل والرسالات وذلك أنه لما كان الدين فى أصوله وعقائده لا يختلف من رسالة إلى أخرى ، فقد أوجب الله تعالى الإيمان بجميع الرسل والرسالات الإلهية قال تعالى : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون »(٧٣) .

رابعا : أن الدين الذى دعا إليه جميع المرسلين هو الإسلام الذى هو الخضوع والانقياد لله تعالى وحده قال تعالى : « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فان يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين »(٧٤) .

خامسا : أن رسالات الله تبارك وتعالى تعاقبت فى نزولها على الأنبياء إلى الناس أمة بعد أمة وجيلا بعد جيل وكلها ذات هدف أساسى وهو

التوحيد . وكلها تحمل اسما واحدا هو الإسلام الذى دعا إليـــه جميع الرسل(٧٥) وكان كل واحد منهم يصدق من سبقه من الأنبياء ويمهد لمن يأتى بعده حتى كان ختام الرسالات الإلهية على يد خاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد — ﷺ — ومن هذه النقاط الخمسة يتبين لنا عموم العقيدة الإسلامية وشمولها .

ولكنه فى الجانب الذى يستتبع الشريعة جانب الالتزام والعمل كان الإسلام الفصل الأخير فى تكامل التشريعات . ومن هنا لم يكن الإسلام عقيدة فقط ، ولم تكن مهمته تنظيم العلاقه بين العبد وربه فقط ، وإنما عقيدة وشريعة . فكان شريعة توجه الإنسان إلى جميع نواحى الخير فى الحياة(٧٦) . وبذا نرى أن للإسلام جانبين :

- الأول : هو الجانب الروحى النظرى وهذا يتمثل فى العقيدة .
- والجانب الثانى : المظهر السلوكى بجميع مفاهيمه وهو الذى نقصد به الشريعة فالإسلام يحتم تعانق الشريعة والعقيدة بحيث لا تنفرد إحداهما عن الأخرى . على أن تكون العقيدة أصلا يدفع إلى الشريعة والشريعة تلبية لانفعال القلب بالعقيدة ويبين ذلك أستاذنا الدكتور محمد عبد الله دراز فيقول : « إن التشريع الإسلامى إنما يقوم على أسس سليمه متينة لا تضعف ولا تتزعزع فهو تشريع مرن يتطور بتطور الحيـــاة ، ويتجاوب مع مصالح البشر دون أن يفرض عليه عنتا أو حرجا . وهو فوق هـذا غنى بثروته التى لا تنفد . هـــذه الثروة التى تلمسها بنفسك فى العقائد والأخلاق »(٧٧) .

وهناك عنصران يكونان التشريع الإسلامى :

أولهما : عنصر العبادات والتى تتمثل فى العبادات بأنـواعها القلبية والروحية والبدنية ، والعقيدة هى الاشعاع الذى يمد هذه العبادات بالضوء

فتدب فيها الحركة والحياة فتؤدى كاملة غير منقوصة . لتؤدى هى وظيفتها أيضا كاملة غير منقوصه فى تهذيب النفس والروح والقلب .

والعنصر الثانى : عنصر المعاملات فالناس فى حياتهم مضطرون إلى التعامل الشامل فى جميع مجالات الحياة . والتشريع الإسلامى فى جميع مراحله وأطواره ، وفى جميع وسائله واتجاهاته إنما يهدف إلى الاصلاح . الاصلاح الخلقى والنفسى والفكرى »(٧٨) قال تعالى : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم »(٧٩) فالتقوى ليست خاصة بقوم دون آخرين وليس ما أقوله هنا مجرد دعوى بدون دليل فاتفاق الشرائع المنزلة من عند الحق تبارك وتعالى فى الأصول الاعتقادية والعملية دل عليه قول الله تعالى « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه »(٨٠)

فهنا إشارة إلى الأصول التى تتساوى فيها ولا يصح عليها النسخ وأعلاها الإيمان بالله تعالى وكماله ذاتا وصفات وأفعالا(٨١) . والإيمان باليوم الآخر والإيمان بالرسل والملائكة يشهد له قوله تعالى : « ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا »(٨٢) .

وأما بقية أحكام الشريعة مما يعد من الفروع فهى تختلف فى شريعة عن الأخرى بحسب ما يتلاءم مع الطبيعة الإنسانية وذلك معنى قول الله تبارك وتعالى : « لكل جعلنا منكم شرعه ومنهاجا »(٨٣) ، ومن هنا كانت الشرائع قابلة للنسخ حتى جاءت الشريعة الكاملة وهى ختام الشرائع السماوية وطريق النجاة للبشر عامة ، واتباع هذا المنهج يحفظ على المسلمين الوحدة ويكفل لهم الكرامة الانسانية . ولقد اشتمل القرآن الكريم على أصولها من صلاة وصوم وزكاة وغيرها .

أما السنة النبوية وهى كلام الرسول — ﷺ — وأفعاله فكانت بيانا وتفصيلا للشريعة الإسلامية التى جاء بها ومع ذلك فقد ترك الله تعالى للعقل الانسانى المجال للبحث والفهم وتعليل الأحكام وأباح له قياس الأشباه على نظائرها(٨٤)، ولكن هذا المنهج يحتاج بعد الالتزام به إلى فهم دقيق فهو منهج حياة تتغير بحسب الزمان والمكان وعلى قدر اجتهادنا فى فهم هذا المنهج الإلهى الكامل تكون التقوى — فالاجتهاد فى فهم الشريعة هو التعبير الصادق عن ايماننا بأنها شريعة الانسان فى كل زمان ومكان(٨٥)، والعقيدة هى التى توحى بنوع العبادة وتؤسس لها، والعبادة تقوم حارسا دون اضمحلال العقيدة فى نفوس المتدينين فهى تذكرنا بالعقيدة صباح مساء وكلما أدى الإنسان شعيرة من شعائرها فإنما يذكر نفسه بالذات التى يتوجه إليها بتلك العبادة(٨٦)، وقد اشتمل القرآن الكريم على الآيات الشاملة للشريعة الإسلامية قال تعالى: «وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله إن الله غفور رحيم»(٨٧) وقال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون»(٨٨) وقوله تعالى: «وأتموا الحج والعمرة لله»(٨٩)، وغير ذلك من آيات كثيرة عرضت مسائل الشريعة الإسلامية أصلا وفرعا فهى الطريق فى إقامة المجتمع المتكافل. وعلى ذلك يمكننا من خلال البيان السابق للعقيدة والشريعة أن تقف على الفروق التى تميز كلا منهما عن الأخرى. وهذه الفروق تتمثل فيما يلى:

١ — أن العقائد واحدة لا تختلف من دين لآخر. قالها الرسل جميعا ما تخلف عن قولها واحد منهم. أن أعبدوا الله وأرجوا اليوم الآخر وذلك واضح فى قول الحق تبارك وتعالى: شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه»(٩٠) وإذا كان شأن العقائد فى أنها لا تختلف من دين لآخر من الأديان السماوية كما أوضحنا ذلك فيما تقدم. فإن بعض الشرائع تختلف من دين إلى آخر وذلك واضح فى قول الحق تبارك وتعالى: «لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا»(٩١).

٢ — العقيدة هى الجانب النظرى من الدين، أما الشريعة فهى الجانب العملى وذلك لأن دين الله يشمل الأعمال الباطنة والظاهرة. ومرادنا بالأعمال الباطنة تصديق القلب وبالأعمال الظاهرة أفعال الجوارح، فمحل العقيدة هو القلب حيث يكون التصديق الجازم مع الشعور بالرضا واقبال النفس عليه والاطمئنان به «إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان»(٩٢). أما الشريعة فتأتيها الجوارح غالبا ظاهرة وواضحة كالصلاة والزكاة وما إلى ذلك(٩٣).

٣ — العقيدة نزلت كاملة مستوفاة لم يترك شىء منها لاجتهاد المجتهدين أو لعقول الباحثين بل تحدث القرآن الكريم عن جميع موضوعاتها. أما الشريعة فقد اكتفى القرآن الكريم والسنة المطهرة ببيان أصولها وبعض تفصيلاتها، وترك البعض الآخر من فروعها لاجتهاد المجتهدين، كما أن الشريعة لم تنزل دفعة واحدة بل نزلت متلاحقة فكانت الصلاة مثلا أسبق من الصيام فى الفريضة.

٤ — أن العقيدة أسبق فى الوجود من الشريعة — ذلك لأن العقيدة من عمل القلب والشريعة ترجمة عملية لما هو وافر فى القلب، وشأن العمل القلبى أن يتقدم على العمل الذى يفصح ويبين عنه، كما أن العقيدة هى

أول ما جاءت به دعوة الرسول — صلى الله عليه وسلم — ودعوات الرسل من قبله . فالعقيدة هى المرحلة الأولى من مراحل الدعوة . والشريعة هى المرحلة الثانية فهى فوق كونها ترجمة عملية للعقيدة الواقرة فى القلب فإنها تنظم حياة الأمة الإسلامية فى الداخل والخارج .

٥ — العقيدة هى الأصل والأساس الذى يدفع إلى الشريعة ، والشريعة تلبية لانفعال القلب بالعقيدة فترك التصديق يؤدى إلى الكفر لأنه الأصل ، ولكن ترك الجانب العملى فى الإسلام وهو الشريعة لا يؤدى إلى ذلك إلا إذا أنكرها المسلم فإن الإنكار ينقله من الإيمان إلى الكفر »(٩٤) .

فالشريعة لا تنفك عن العقيدة لأن كليهما وجهان لعملة واحدة فمن دان بالشريعة وأنكر العقيدة فهو كافر ،ومن آمن بالعقيدة وأهمل الشريعة فهو غير سالك طريق الناجين عند الله . وعلى ذلك نستطيع أن نقول إن المجتمع صورة شريعته فاذا كانت الشريعة التى يسير عليها صالحة كان مجتمعا صالحا وإن كانت فاسدة كان مجتمعا فاسدا .

والإحسان فى العقيدة والشريعة يكون ببذل الجهد والاخلاص فيهما يكون يتوافق الظاهر والباطن(٩٥) .

القسم الثالث :

وهو الأخلاق الإسلامية فهى المحور الأساسى الذى ترتكز عليه إنسانية الانسان .

«وهى السياج الذى يحمى صاحبه عن أن يقدم على عمل أو يأتى فعلا لا يستريح إلية الضمير الحى «ولا تطمئن إليه النفس الطيبة ،

وهى الحد الفاصل والحجاب الحاجز بين ما يمكن أن يرتفع بالقيمة الإنسانية للفرد والجماعة ، وما يمكن أن يهوى بالفرد وبالجماعة فى متاهات مظلمة تقع بها فى الدرك الأسفل من مراتب الحياة»(٩٦) فالأخلاق تدعو إلى العمل بالفضيلة وترك الرذيلة ، وماينبغى أن تكون عليه معاملة البشر لبعضهم البعض ، فالأخلاق هى الدعامة الأساسية لحفظ كيان الأمة. ومن أجل ذلك كانت الأخلاق دائما محل التركيز فى دعوات الرسل بل لقد كانت الغاية من الرسالات السماوية فى الميزان والمعيار الذى لا يخطىء فى بيان دخائل النفوس وكشف نوايا القلوب وسلامة الدين وصحة الاعتقاد(٩٧). ومن هنا فلقد كانوا جميعا يدعون إلى مكارم الأخلاق .

هذا والأخلاق الاسلامية تنبثق عن العقيدة والشريعة فلا تمليها المصلحة الشخصية ولا تسيرها المنفعة الذاتية لأنه عندما تكون الغاية هى المنفعة ينتهى الخلق والقيمة ، بل هى اخلاق ثابتة وقيم لا تتبدل ولا تتغير لأن الأوامر والنواهى فى الإسلام من الله سبحانه وتعالى . ولذلك فقد بين الإسلام الأخلاق الصالحة والآداب الحميدة وحث عليها فى القرآن الكريم والسنة الشريفة .وعلى ذلك فالاسلام منهج إنسانى متكامل للفرد والجماعة قوامه العقيدة والشريعة والأخلاق .

والأخلاق فى مفهوم الإسلام قاسم مشترك بين مختلف القيم يقوم على هذا النحو المترابط المتكامل الشامل .

وهدف الأخلاق فى مفهوم الاسلام التقوى ، وتتمثل التقوى فيه عملا وسلوكا . ولا تقف عند الناحية النظرية وحدها ، بل هى أخلاق تقوى بكل ما تحمل كلمة التقوى من معان سلبية وإيجابية. بتجنب الحرام والاقبال على الحلال ، وتعنى الوقاية ومدافعة الخطر واليقظة الدائمة للمحافظة على الأصول ومنعها من الانحراف(٩٨) .

فالعقيدة والأخلاق فى الإسلام ينبثقان من مصدر واحد ، يبين ذلك الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت فيقول: «وقوام الصدق فى شعبتى العقيدة والشريعة ، إنما هو التمسك بشعبة أخرى هى شعبة الأخلاق »(٩٩) .

وذلك أن الفطرة السليمة والعقيدة الصحيحة والتقوى هى جماع الأمان للحياة وللإنسان ضد أى إنحراف فالفطرة السليمة هى أصل ما خلقنا عليه وأى إنحراف لها هو تمزيق للإنسان من داخله ومن خارجه فلا تستقيم معه حياه ، ولا تستقيم به حياة .

والعقيدة السليمة أساس للبناء ولا يستقر للإنسان كيان بدونها ، بل بغيرها ينهار البناء ومع ذلك فهى تختلف قوة وضعفا تبعا لحال العقيدة ومدى سلطانها على النفوس ، فالأخلاق فى الواقع ثمرة للعقيدة السليمة والشريعة الصحيحة .

بعد هذا البيان يتضح لنا أن الإسلام يشتمل على العقيدة والشريعة والأخلاق ، لكن هذا لا يعنى أن المرء يستطيع أن يستغنى بأحداها ، فالعقيدة والشريعة تكمل كلتاهما الأخرى ، والأخلاق فى الواقع وكما قلنا تشبه الثمرة للعقيدة السليمة والشريعة الصحيحة . «ومن ثم كان أول مايستشعره القلب والعقل أمام العقيدة الإسلامية هو الاستقامة قال تعالى : «ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين »(١٠٠) والإستقامة هنا هى السير على أفرع الشريعة وعلى ذلك فالشريعة الكاملة والأخلاق هما المظهر الإيجابى للعقيدة والتجسيد العملى لها ، والبرهان الصادق عليها ، وهما فى مجموعها روافد طهر من كل دنس وخطيئة ، تعصم المسلم من الآثام والذنوب ولا قيمة فى الإسلام لعبادة أو أخلاق لا تزكى صاحبها ولا تطهر نفسه ولا تحول بينه وبين الإنحراف .

ومن هنا ربط الإسلام بين العقيدة والشريعة والأخلاق برباط

لا تنفصم عراه ولذلك فقد بين الرسول — ﷺ — جملة العقيدة والشريعة والأخلاق وربط بينهما فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى ومسلم(١٠١) . والمعروف بحديث جبريل — عليه السلام — وبالنظر فى هذا الحديث نرى أنه يتضمن الإسلام كله لأن كل ما سأل عنه جبريل — عليه السلام — كان هو الإسلام ، فليس الإسلام جزءاً منه وإنما هو مجموع ما ورد فى الحديث . ويقول القاضى عياض «لقد اشتمل هذا الحديث على جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان إبتداء وحالا ومآلا ، ومن أعمال الجوارح ومن إخلاص السرائر ، والتحفظ من آفات الأعمال حتى أن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه(١٠٢) ذلك أن الإيمان بالله وملائكته وبرسله وبالبعث راجع إلى العقيدة «فهى المنبع الذى يسرى فى كيان المؤمن ويملأ نفسه ويفيض على روحه الرضا والأمن وعلى نفسه السكينة . وذلك بعبادة الله وحده : وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت راجع إلى الشريعة أما الإحسان فيكون فى العقيدة والشريعة معاً ، وبالإحسان توجد الأخلاق وإذا تبين لنا ذلك أدركنا ضرورة الإسلام لكل من الفرد والجماعة . ولكن ما الإنطباع الذى يتركه الإسلام على كل من الفرد والجماعة ؟ إن ذلك التساؤل يسلمنا إلى الحديث عن مدى حاجة الإنسانية إلى الإسلام بما يتضمنه من عقيدة وتشريع .

العقيدة والتشريع أساس المجتمع :

المجتمع أى مجتمع يقوم بداءة على أسس ومقومات لابد منها لتماسكه وتكامله من العقيدة التى توجد وحدة الفكر فى أفراده وجماعاته ، ويصدر عنها تصوره ومفاهيمه عن الكون والحياة وقد أوضحنا من قبل أن الإسلام قد جعل أساس المجتمع العقيدة الصالحة بما تشتمل عليه ويؤكد ذلك — صاحب كتاب أدب الدنيا والدين — فيقول : «واعلم أن للعلوم أوائل تؤدى إلى

أواخرها ، ومداخل تفضى إلى حقائقها فليبتدأ طالبها بأوائلها لينتهى إلى أواخرها ، وبمداخلها ليفضى إلى حقائقها ، ولا يطلب الآخر قبل الأول ولا الحقيقة قبل المدخل ، فلا يدرك الآخر ولا يعرف الحقيقة لأن البناء على غير أساس لا يبنى ، والثمر من غير غرس لا يجنى »(١٠٣) .

فالعقيدة هى الأساس وهكذا يبدو جلياً أن العقيدة إنما تهدف إلى تهذيب السلوك وتزكية النفوس وتوجيهها نحو المثل الأعلى . وبعد هذا نتسائل هل الإنسانية بحاجة إلى الدين؟ وهل البشر اليوم بحاجة إلى الإسلام عقيدة وسلوكا ؟

وقبل أن نبحث فى حاجة الإنسانية إلى الإسلام نرى أنفسنا أمام موضوع هام . وهو موضوع الفطرة ، وفطرية الإسلام تعنى أنه من صميم الطبيعة الإنسانية . ولما كان هذا المقام شديد الإرتباط بالعمل والسلوك ، لذا نرى من الواجب دراسته بشىء من التفصيل لأنه يقام على هذا البيان علاقة الطبيعة الإنسانية بالأخلاق والسلوك . فلقد بين الحق سبحانه وتعالى أن الإسلام دين الفطرة حيث قال : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون »(١٠٤) .

وقبل تحديد معنى الفطرة فى الآية الكريمة ، يجب تحديد معناها لدى المعنيين بالبحث فى النفس البشرية ، فلقد قسموا دوافع الإنسان إلى نوعين : —

١ — «دوافع أصلية فى الإنسان لا يخلو عنها فى زمان أو مكان ، وهذا النوع من الدوافع يولد مع الإنسان ، وهو واحد فى جميع بنيه ولا يتأثر فى حتميته باختلاف البيئات والأقاليم ولا باختلاف الأوقات والأزمنة ، وإنما يأتى الاختلاف فيه بين الأفراد فى مظهر هذه الدوافع وفيما يترجم

عنها »(١٠٥) ومن هنا كانت هذه الدوافع أصلية ، وأثر هذه الدوافع يأتى قصراً وقهراً فلا يملك الإنسان حياله دفعاً ولا يستطيع له منعا ، وهذا ما يعرف باسم الغرائز .

٢ — « دوافع غير أصلية فى الإنسان وهذه قد يخلو الإنسان منها وقد يتصف بها ، وقد يخلو عنها فى وقت ويتصف بها فى وقت سواه ، وهى تخضع فى وجودها أو عدمه لعامل الزمان والمكان والظروف الحياتية كلها من جانب ولعامل المزاج الشخصى والتكوين النفسى من جانب آخر»(١٠٦) . وأثر هذه الدوافع إن وجدت يكون اختيارى الوقوع فلا يصل إلى الحتمية أو الضرورة ، وإن كان من الصعب أحيانا مقاومته وعلى ذلك يتردد معنى الفطرة لدى علماء علم النفس بين ثلاثة معان « وهى الضرورة والدافع والميل »(١٠٧) .

ويجدر بنا قبل البيان أن نحدد بعض المصطلحات التى تستعمل فى هذا الصدد . فالغريزة هى: «استعداد نفسى عضوى فطريا كان أم موروثا يحمل صاحبه يتخذ موقفا محدداً إيجابيا أو سلبيا إزاء موضوعات معينة بعد إدراكه لها مباشرة »(١٠٨) .

والدوافع هى : « القوى المحركة التى تبعث النشاط فى الكائن الحى أى كل ما يدفع الإنسان إلى القيام بسلوك معين . أو تغير معين فى داخل الكائن الحى أو سلوكه إزاء مواقف معينة ، وذلك بمعنى أنها تؤدى وظائف ضرورية وهامة للكائن الحى ، فهى التى تدفعه إلى القيام بإشباع حاجاته الأساسية الضرورية لحياته وبقائه ، كما تدفعه إلى القيام بكثير من الأفعال الأخرى الهامة والمفيدة له فى توافقه مع البيئة التى يعيش فيها »(١٠٩) سواء أكان هذا الدافع نابعا من داخل الكائن الحى أم من بيئته فهو بهذا المعنى يشمل كل الدوافع مثل الحاجات والحوافز والرغبات والميول »(١١٠)

وهذا البيان يقتضينا أن نتبين على أى أساس قسم العلماء الدوافع إلى أصلية وغير أصلية ؟

ولقد قام هذا التقسيم على أسس ثلاثة :ـ

١ — تاريخ وجود الدافع .

٢ — أهمية الأثر أو الآثار التى تترتب عليه .

٣ — مدى حتمية هذه الآثار وضرورتها .

وهذه الأسس الثلاثة كما يقول الأستاذ الدكتور محمود محمد مزروعة بينها تلازم طبيعى فكلما كان الدافع قديما كلما كان أثره ضروريا وهاما والعكس صحيح »(١١١) ومن هنا تكون الفطرة معناها الغريزة بالمعنى السابق، أو الدوافع والميول الأصلية فى بنى الإنسان . وتكون الفطرة قوة أولية نحو أفعال معينة . وفى هذا يقول الأستاذ العقاد « اتفق علماء المقابلة بين الأديان على تأصيل العقيدة الدينية فى طبائع بنى الإنسان منذ أقدم أزمنة التاريخ »(١١٢) .

وإذا كانت العقيدة الدينية قديمة فإنها كذلك حتمية وضرورية ، ولا يمكن لإنسان خلقه الله وأودع فيه عقلا يفكر وقلبا يعى أن يحيا بلا عقيدة دينية يفرق فيها بين إحساسه بالخوف والقلق وإحساسه بالوحدة وسط هذا الكون(١١٣) فالعقيدة فى جوهرها يقوم عليها بناء الإنسان عقلا وفكرا وروحا وسلوكا .

بناء عقله بالعقيدة ، وفكره بالثقافة الراشدة ، وروحه بإفساح المجال أمامها لترتوى من كوثر الله ، وسلوكه بالامتثال لما أمر به الحق تبارك وتعالى والابتعاد عما نهى عنه . وعلى ذلك نستطيع أن نقرر أن فى خلقة الإنسان وطبيعته جانبا لا يملؤه إلا الإيمان بالله . وهذا يفيد أن كل أمر

يرجع إلى الغريزة ، أو إلى دافع من الدوافع الأصلية فى النفس الإنسانية ضرورى وحتمى ، ولقد أثبت بعض العلماء المعنيين بالبحث فى النفس البشرية فطرية التدين بالمعنى السابق ومن بينهم الدكتور « الكسيس كارل — الذى برهن على وجود الغريزة الدينية فى طبيعة التكوين البيولوجى فى الإنسان(١١٤) ، وعلى ذلك يتبين أن فطرية التدين لها جانب سيكولوجى وجانب بيولوجى . معا ، وإذا كان الشعور الدينى فطرة فى الإنسان ، فالتدين سلوك فطرى وعدم التدين انحراف وبعد عن الفطرة . ويبين ذلك ما قاله « صاحب كتاب مبادىء علم النفس » . أن الغرائز أو الدوافع الفطرية تتفاوت فيما بينها من إنسان إلى آخر من حيث القوة والضعف ، وقد تضعف أو تنمو بالممارسة أو الأهمال أو طغيان غريزة على أخرى »(١١٥) .

والدليل على وجود تلك العاطفة أو الفطرة الدينية فى الإنسان ما وقفنا على بيانه من أن العقيدة الدينية قديمة قدم الإنسان وأن تاريخ وجودها مساو لتاريخ الإنسان نفسه فما من أمة إلا وقد اتخذت لنفسها إلها أو آلهة وعبدتها وإن كانت باطلة وهنا يقول الفيلسوف بسكال « إن طبيعة الإنسان أن يؤمن فإذا لم تتقدم له أهداف صائبة سديدة ركز حوله إيمانه وجه ، وتحول إلى عبادة أهداف خاطئة فاسدة »(١١٦) .

فالتدين والاعتقاد دافع نفسى له أساس فطرى فى طبيعة تكوين الإنسان ، وعلى ذلك يكون من الصعوبة التى تبلغ حد الاستحالة أن نفرق بين تاريخ الإنسان و تاريخ التدين أو الاعتقاد ، والدليل على صحة ماذهب إليه قول الرسول ـ ﷺ ـ «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء »(١١٧) وقوله : كل نسمة تولد على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها فأبواها يهودانها أو ينصرانها »(١١٨) ومن هنا يتبين ما وعدنا به فى بداية

الكلام عن الفطرة فى قول الله تبارك وتعالى : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم »(١١٩) أى يقول الحق تبارك وتعالى للمرء « فسدد وجهك على الدين الذى شرعه الله لك من الحنيفية ملة إبراهيم — عليه السلام — التى هداك الله لها وكملها لك غاية الكمال ، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التى فطر الله الخلق عليها فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده ، وأنه لا إله غيره »(١٢٠) .

وبهذا نستطيع أن نربط بين فطرة النفس البشرية وصبغة هذا الدين وكلاهما من صنع الله . وكلاهما موافق لطبيعة الوجود ، وكلاهما متناسق مع الآخر فى طبيعته واتجاهه ، والله الذى خلق القلب البشرى هو الذى أنزل إليه هذا الدين ، فالفطرة ثابتة والدين ثابت »(١٢١) لا تبديل لخلق الله . لدين الله . خلق الأولين دين الأولين . فالدين والفطرة الإسلام(١٢٢) .

وذلك بمعنى أن فى فطرة الإنسان ، أى فى خلقته وطبيعة تكوينه استعدادا فطريا لإدراك بديع مخلوقات الله ، والاستدلال بها على وجود الله وتوحيده(١٢٣) .

فالدين والفطرة هما الإسلام وعلى ذلك نتبين أن حاجة الإنسان إلى مناجاة ربه من نبع الفطرة ، حتى إنه ليجد حياته فى تلك المناجاة وهذا إحساس عميق وشعور أصيل لا يملأ فراغه شيء فى هذه الحياة إلا أنس المناجاة ، وحسن الصلة بالله . وهذا يسلمنا إلى بيان حاجة الإنسانية إلى الإسلام .

حاجة الإنسانية إلى الإسلام : —

الإعتقاد شيء مركوز فى النفس مستقر فى قلب الإنسان لا يستطيع إنسان أن ينكره فالإسلام ليس غـريبا على الإنسان ، ولكنه لازم له وهذا اللزوم لم يكن مفروضا عليه بـل هو نابع من فطرته ، فهى التى تستلزمـه وهى التى تدفع الإنسان إلى التمسك به والسير على سننه وفى ظلال شرائعه .

فالنفس أو الفطرة خلقها الله تعالى وأودع فيها هذا الاتجاه إلى الخالق وأن الإنسان مهما ابتعد عن منهج الله فلن يستطيع أن يغير فطرته «فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله »(١٢٤) .

وقال تعالى : « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها »(١٢٥) فالإنسان لا غنى له عن الدين لأنه جزء من ذاته ونفسه وفطرته فلا يستطيع أن يحجب هذه الفطرة ولذا أشار الحق تبارك وتعالى فى قوله : « وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعوا إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله »(١٢٦) .

فالإنسان لا غنى له عن الدين لأنه يحسه فى نفسه شعورا ووجدانا ويشير إلى هذا الشعور والوجدان ما رواه أبو هريرة « رضى الله عنه » .

أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة »(١٢٧) .

وقول الله تعالى : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون »(١٢٨) .

فى هذه الآية بين الله تعالى أنه أخرج من صلب آدم وبنيه ذريتهم نسلا بعد نسل على هيئة ذر وذلك قبل خلقهم فى الدنيا وأشهدهم على أنفسهم قائلا لهم : « ألست بربكم » فأجابوا « بلى شهدنا » بذلك فالله سبحانه وتعالى أشهدهم على ربوبيته حتى لا يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا التوحيد غافلين أو غير عالمين »(١٢٩).

من هذا يتبين أنه يوجد فى طبيعة تكوين الإنسان استعداد فطرى لمعرفة الله وتوحيده كما قلنا . فالاعتراف بربوبية الله متأصل فى فطرة الإنسان ، وموجود منذ الأزل فى أعماق روحه « فقد أنشأهم على الاعتراف بالربوبية له وحده .

أودع هذا فطرتهم فهى تنشأ عليه(١٣٠) غير أن امتزاج الروح بالجسد وانشغال الإنسان بمطالب جسده وبمطالبه المختلفة التى تستلزمها حياته فى الدنيا وعمارة الأرض ، وقد جعلت هذه المعرفة بربوبية الله وهذا الاستعداد الفطرى للتوحيد عرضه لأن تطمره الغفلة ويغمره النسيان ويطوية اللاشعور فى أعماقه ويصبح الإنسان فى حاجة إلى مايوقظ هذا الاستعداد الفطرى ، ويبعد عنه النسيان ويبعثه من أعماق اللاشعور ليظهر واضحا جليا فى الإدراك والشعور ، ويتم ذلك عن طريق تفاعل الإنسان مع الكون ، ونظره إلى عجيب خلق الله فى نفسه وفى سائر مخلوقات الله وفى الكون من حوله(١٣١) ، وتلك فطرة فطر الله الناس عليها ، وصبغة صبغهم بها ، لا فكاك لهم منها ولا شذوذ لهم عنها سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا .

من هذا كله نستخلص :ــ

أولا : أن التدين فطرى فى الإنسان ، لكنه لا ينبغى أن يفهم من فطرية الإسلام انطباع جميع قواعده وأحكامه فى طبيعة الإنسان لأنه

الأمر لو كان كذلك لما وقعت من الإنسان تلك الانحرافات ولما حدث ما يقوم به الآباء من تطبيع الأولاد على عقائد مختلفة كما جاء فى الحديث.

ثانياً : إن هذه الفطرة ليست خاصة بمعرفة الله وتوحيده فحسب وإنما هى متعلقة بالإسلام عموما ، وباعتباره معيارا جاء ليبين للناس ماهو خير وما هو شر ، كما أن الإنسان فيه استعداد وقوة لتميز الخير من الشر يقول الدكتور يوسف القرضاوى « إن الإيمان بالله ليس غريزة فطرية فحسب، بل هو ضرورة »(١٣٢) .

فالدين عنصر ضرورى والإنسانية بحاجة إليه للكمال النفسى والروحى فالإنسان جسم وروح ، والجسم يتغذى بالطعام والشراب بينما تتغذى الروح بالإيمان والعقيدة ، وعلى ذلك فالإسلام منهج شامل لأمور الدنيا والآخرة ، محقق لمصالح الفرد والجماعة قوامه الشريعة والعقيدة والأخلاق فليس دينا فقط ، ولكنه دين ونظام حياة لاتنفصل فيه العلاقة بين الله والإنسان عن الصلة بين الإنسان والإنسان وهو ينظمها جميعاً »(١٣٣) .

ومن القواعد المقررة أن الإنسان مدنى بطبعه . ومعنى ذلك أنه يميل إلى التعارف والتعايش مع الغير ، ولذلك جعل الحق سبحانه وتعالى التعارف بين الناس من أهم أسباب خلقه لهم حيث قال تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا »(١٣٤) هذا التعرف ليس مقصودا لذاته ، وإنما جعل.

أولا : غذاء لطبيعة الإنسان .

وثانياً : وسيلة للتعاون على كل ما فيه إسعاد البشرية ، وتحقيق حياة أفضل لأفرادها فى جانبيها المادى والفكرى ويبين ذلك أستاذنا الدكتور محمد عبد الله دراز فيقول : « إنه لاقيام للحياة فى الجماعة إلا بالتعاون بين

أعضائها ، وهذا التعاون إنما يتم بقانون ينظم علاقاته ، ويحدد حقوقه وواجباته ، وهذا القانون لا غنى له عن سلطان نازع ووازع يكفل مهابته فى النفوس ، ويمنع انتهاك حرماته (١٣٥) .

وعلى ذلك نستطيع أن نقرر أنه ليس على وجه الأرض قوة تكافىء قوة التدين أو تدانيها فى كفالة احترام القانون ، وضمان تماسك المجتمع واستقرار نظامه والتئام أسباب الراحة والطمأنينة فيه ، والسر فى ذلك أن الإنسان يمتاز عن سائر الحيوانات الحية بأن أفعاله وأعماله الاختياريه يتولى قيادتها شيء لا يقع عليه سمعه وبصره ، ولا يوضع فى يده ولا فى عنقه ، ولا يجرى فى دمه ، ولا يسرى فى عضلاته وأعصابه ، وإنما هو معنى انسانى روحانى اسمه الفكر والعقيدة ولقد ضل قوم قبلوا هذا الوضع وحسبوا أن الفكر والضمير لا يؤثران فى الحياة المادية والاقتصادية ، بل يتأثران بها . (١٣٦)

أجل إن الإنسان يساق من باطنه لا من ظاهره وليست قوانين الجماعات ولا سلطان الحكومات بكافيين وحدهما لإقامه مدينة فاضلة ، تحترم فيها الحقوق وتؤدى الواجبات على وجهها الكامل . فإن الذى يؤدى واجبه رهبة من السوط أو السجن أو العقوبة المالية لا يلبث أن يهمله متى اطمأن إلى أنه سيفلت من طائلة القانون . (١٣٧)

والقانون إما إلهى أو وضعى فلكل حضارة شطران ، شطر روحى وشطر مادى فالشطر المادى الذى يعتمد على الحس والعقل ، وليس الأمر كذلك فيما يتعلق بالشطر الروحانى أو النظرى (١٣٨) ولذلك نزلت العقيدة كاملة هداية للعقل فى الجانب النظرى فشملت التشريع والأخلاق ونظام المجتمع ومن خصائص الوحى فيما يتعلق بالتشريع أنه هاد للعقل ولا يتأتى أن يكون هناك إيمان قط بدون الاعتقاد بأن الدين هاد للعقل ، وكما أن الدين

هاد للعقل كان لابد فى استخدام العلم من رقيب اخلاقى يوجهه للخير الإنسانية وعمارة الأرض لا إلى نشر الشر والفساد ذلكم الرقيب هو العقيدة والإيمان ، (١٣٩) .

ومن الخطأ البين أن تظن أن فى نشر العلوم والثقافات وحدها ضمانا للسلام والرخاء وعوضا عن التربية والتهذيب الدينى والخلق (١٤٠) ذلك أن العلم سلاح ذو حدين ، يصلح للهدم والتدمير كما يصلح للبناء والتعمير (١٤١) فكما يستعمل للخير يستعمل للشر ، فلا بد للعلم من تربية عالية وتوجيه سديد وإيمان راسخ يوجه المجتمع وذلك أن وظيفة العلم محصورة فى الجانب الحسى المحض فهو يقف عند حدود لا يتجاوزها بينما وظيفة الدين فى الحياة ذات مجال رحب ، ومنهج الإسلام فى تربية الإنسان هو المنهج الكامل لإصلاحه وتقويمه ، وكما أن الإنسان مركب من روح وجسد فهو مكون من العقل والعاطفة ، وقد عالج الإسلام كلا منهما ووضع له المنهج الكامل لإصلاحه وتقويمه .

فالإسلام بما حواه من هداية إلهية وتشريعات سماوية يكفل للمجتمع الإنسانى كل عوامل السعادة والأمن والاستقرار ، ولا يكون ذلك عن تشريع وضعى ، يضعه فرد أو جماعة لأمة معينة وذلك لأن الإنسان مهما سما فكره ونضج عقله لا يمكن أن يحيط بكل ما يوفر للإنسانية أمنها واستقرارها ، فقد يرى الحسن قبيحاً والقبيح حسنا ، والله الذى خلق الإنسان وركب فيه طبائعه ونوازعه ، هو الخبير بكل علله وأدوائه والعليم بوسائل شقائه ، فهو وحده الذى يقدر أن يضع للجماعات الإنسانية من الشرائع والقوانين ما يحقق لها أسباب السعادة ، وجميع وسائل الأمن والاستقرار ، وذلك بالدين الذى يدعوها إليه ، فهو السلطان المهيمن على نفوس المؤمنين به ، يحملهم على الأخذ بتعاليمه ، ويدفعهم إلى القيام بما سنه لهم من تشريع وتنظيم ، ويدفعهم إلى التحلى بالفضائل ويحول بينهم وبين

ارتكاب الرذائل ، وليس هناك وراء الدين شيء يهيمن على النفوس غير نظام خالق النفوس »(١٤٢) ، فهو نظام ربانى يقوم على مبادىء سامية رضيها الله لعباده دستوراً يقودهم فى دنياهم إلى حياة كريمة ويعدهم فى أخراهم لميراث جنة عرضها السموات والأرض ، فالإسلام هو الرابطة التى جمعت البشرية على الإيمان بالله واليوم الآخر .

ويبين ذلك الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت فيقول : « ذلك أن القصد من الدين ليس إلا تزكية النفس وتطهير القلب ، وظهور روح الامتثال والطاعة واستشعار عظمة الله ، واقرار الخير والصلاح فى الأرض على أساس قوى متين من ربط العبد بخالقه »(١٤٣) ، فهو إذن مطلب إنسانى رفيع يغذى جانب الروح ولا ينسى حاجة العقل ، وبعبارة أخرى هو مطمع العقل وغاية الروح ، وبجانب ما للدين من وظائف نفسية تجعل منه غذاء ضروريا لقوى النفس وعصارة مقومة لحيويتها ، توجد له وظائف اجتماعية لايكون موضوعا للفرد وحده ، وإنما يكون موضوعا للمجتمع ككل »(١٤٤) .

هكذا نرى أن العقيدة الإسلامية تعبر عن حاجات النفس الإنسانية فى مختلف ملكاتها ومظاهرها ومن هنا تنبع حاجة البشر إلى الدين من طبيعة الإنسان نفسه ، فقد خلقه الله تعالى ومنحه طبيعة الكائن المتكيف .

كما أن حاجة الإنسانية إلى الدين نزعة فطرية وأصيلة ركبت فيه وفطر عليها ولذلك يكون الدين هو الرقيب الذاتى داخل النفس يدفع الإنسان إلى مراقبة الله الذى يعلم السر وما تخفى الصدور ، فيكون دافع الدين والاعتقاد شاملا لجميع القوى المختلفة الجسمية والروحية والنفسية والأخلاقية والاجتماعية .

فحاجة النفس الإنسانية إلى الدين تعبر عن مختلف ملكاتها ومظاهرها

كما بينا ، وإذا كان الدين فطرة إنسانية ، فإنه كذلك ضرورة اجتماعية إذ ليس على وجه الأرض قوة تكافىء قوة التدين ، غير أن الإيمان على دربين :

أولهما : إيمان بقيمة الفضيلة وكرامة الإنسانية وما إلى ذلك من المعانى المجردة التى تستحى النفوس العالية من مخالفة دواعيها ولو أعفيت من التبعات الخارجية ، والأجزية المادية .

ثانيهما : إيمان بذات علوية رقيبة على السرائر يستمد القانون سلطانه الأدبى من أمرها ونهيها ، وتلتهب المشاعر بالحياء منها أو بمحبتها أو بخشيتها ولاريب أن هذا الدرب هو أقوى الدربين سلطانا على النفس الإنسانية وهو أشدهما مقاومة لأعاصير الهوى وتقلبات العواطف ، وأسرعهما نفاذا فى قلوب الخاصة والعامة ، من أجل ذلك كان هذا الدين خير ضمان لقيام التعاون بين الناس على قواعد العدل والنصفة وكان ذلك ضرورة اجتماعية كما هو فطرة إنسانية (١٤٥) .

وعلى ذلك فإن الارتباط الفطرى للإنسان بالدين ، وحاجته إليه قد فتح أمامه — بالإضافة إلى الاعتقاد والتدين(١٤٦) مجال العلم والالتزام بالأخلاق ، والآداب الإنسانية ، ولو أن الإنسان حرم هذا الدافع الفطرى فى كيانه وطبيعته لما نشر الدين والاعتقاد فحسب بل لخسر مع ذلك العلم والأخلاق والآداب الإنسانية(١٤٧) ، فالدافع الدينى أو الغريزة الدينية كما تبين فيما مضى ، لم تكن فاتحة عهد وثابتة خير للدين والعقيدة فحسب ، وإنما كانت فتحا مبينا ونصراً عزيزاً للإنسان فى تلقى العلم والأخلاق والآداب والقيم كما للتدين والاعتقاد (١٤٨) .

فالدين يهدف إلى إقامة المجتمع الفاضل ، ولا نجد سلاحا أقوى من الدين للإصلاح الخلقى وتنشئة الإنسان على السلوك المستقيم ، فالقيم الثابتة التى يمنحها القانون الإلهى للإنسان هى صمام الأمان له فى الدنيا والآخرة ، ولقد شهد بذلك أصحاب النهضات والماديات يقول :

« روبرت مليكان » العالم الطبيعى الأمريكى « إن أهم أمر فى الحياة هو الإيمان بحقيقة المعنويات وقيمة الأخلاق ، ولقد كان زوال هذا الإيمان سببا للحرب العامة ، وإذا لم نجتهد الآن لاكتسابه فلن يبق للعالم قيمة بل يصير العالم نكبة على البشرية فى غير قوانين الدين وأخلاقه » (١٤٩) وهذا القول يمثل القلق النفسى ومدى حاجة الإنسانية إلى الدين عقيدة وسلوكا لتحقيق التوازن بين الروح والجسد، ولإقامة التوازن بين الغرائز المختلفة، ولتوجيه الميول والعواطف الوجهة الصحيحة التى تحفظ قيمة الفرد وتخدم المجتمع والأمة الإنسانية قال تعالى : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » (١٥٠) وبعد هذا البيان الكامل الشامل يمكننا أن نستوضح وظائف الدين وحاجة البشر إليه .

فالدين يزكى النفس ويطهرها، ويقيم فى جوانبها الوازع القوى الذى يحول دائما بين الإنسان وبين نوازع السوء والضلال فيه ، وذلك أنه يشعر دائما بمراقبة الله له فى كل شىء ، حتى لكأنه يرى الله فى كل خطوة يخطوها ، فهو حاضر لا يغيب .

ومن هنا تزكو نفسه بفعل الخير وعمله والبعد عن الشر . وهذا مبلغ ماينبغى أن تسعى الإنسانية إليه . فالإنسانية بحاجة إلى الدين لأنه جزء من فطرة الإنسان وطبيعته ، ولا يمكن لإنسان سوى عاقل أن يستغنى عن جزء من فطرته و كيانه فهو الوسيلة الوحيدة التى تأمن مخاطرها، وتضمن نتائجها لتحقيق الحياة الإنسانية، فهو يقيم لأتباعه نظاما يدعوهم إلى الفضيلة واعتناقها ، كما يقيم لهم دستورا حكيما يحفظ للإنسان انسانيته ، كما يحفظ له نفسه وعرضه وماله .

ومن هنا فكما أن حاجة الإنسانية إلى الدين لحفظ النفس والعرض

والمال كذلك كانت أيضا بحاجة إليه لتربية الإنسان الصالح الذى كرمه الله تبارك وتعالى حيث قال « لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم » (١٥١) ، « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » (١٥٢) .

وعلى ذلك فاحتياج الإنسانية إلى الإسلام عقيدة وسلوكا نزعة فطرية وأصيلة ركبت فيه وفطر عليها ، ومن هذا المنطلق يصف القرآن الكريم الدين بأنه الحياة ، وبأنه النور الذى يضىء للسالك الطريق قال تعالى : « أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها » (١٥٣) .

فالعقيدة تقوم من المجتمع مقام الروح من الجسد ، ولسعادة المجتمع لابد له من العقيدة الصحيحة التى تنير الطريق، وتحدد أسلوب معاملة الفرد للجماعة والجماعة للفرد ، والأفراد بعضهم البعض ، ومن هنا كان المجتمع صورة عقيدته : فإذا كانت العقيدة التى يسير عليها صالحة كان مجتمعاً صالحاً، وإن كانت فاسدة كان مجتمعاً فاسداً .

فالعقيدة هى أساس قيام المجتمع ، وأساس صلاحه أو فساده ، بل هى أساس بقائه واستمراره أو فنائه وإنهياره ، لذا كانت حاجة الإنسانية إلى الإسلام عقيدة وسلوكا وذلك لأنه يصرف النفوس ويعطف القلوب عن اراداتها ، وهذه الأمور لا يصل بغير الدين إليها ، ولا يصلح الناس إلا عليها ، فكأن الدين أقوى قاعدة فى صلاح الدنيا واستقامتها وأجدى الأمور نفعاً فى انتظامها وسلامتها ، ولذلك لم يخل الله تعالى خلقه منذ فطرهم عقلاء من تكليف شرع واعتقاد دين » (١٥٤) ، ومما يؤيد ذلك أن الإسلام جاء خاتمة الشرائع السماوية فورثها وهيمن عليها، وهذه نعمة الله الكبرى ، فكانت نعمة فى الدين وفى الدنيا أصلحت

الإنسان دينـــا وخلقاً بالتكريم والخيرية والخلافة التى تقتضى الأمن والإستقرار الشامل للسعادة فى الدنيا والآخرة .

إعداد

الدكتور : سامى حجازى
كلية أصول الدين جامعة الازهر

المصادر والهوامش

(١) سورة آل عمران جزء من الآية (١٩) .

(٢) سورة آل عمران الآية (٨٣) .

(٣) سورة آل عمران جزء من الآية (٨٥) .

(٤) سورة الروم الآية (٣٠) .

(٥) دكتور محمد عبد الله دراز كتاب الدين ص ٨٤ ط السعادة ١٩٦٣ م .

(٦) نقلا عن المرجع السابق .

(٧) الأستاذ / محمد عبد القادر العماوى هذا هو الإسلام ص ٦٠ ط الثالثة دار الفكر الحديث للطباعة والنشر ١٩٧٣ م .

(٨) راجع : دكتور محمد سعيد رمضان البوطى « كبرى اليقينيات الكونية » ص ٧٧ ط دار الفكر دمشق سوريا ط الثامنة ١٤٠٢ هـ .

(٩) الأستاذ / جعفر الهادى فى مؤلفه « الله خالق الكون » دراسة علمية حديثة للمناهج والنظريات المختلفة حول نشأة الكون ومسألة الخالق ص ٦ ط ١٤٠٥ هـ .

(١٠) المـاوردى ، « أدب الدنيا والدين » ص ١١٣ ط دار الشعب ١٩٧٩ م .

(١١) دكتور / محمد عبد الله دراز : المرجع السابق .

(١٢) سورة آل عمران جزء من الآية ١١٠

(١٣) سورة البقرة الآية ٨، ٩

(١٤) سورة النساء الآية ١٤٢

(١٥) سورة النمل جزء من الآية ١٤

(١٦) سورة البقرة جزء من الآية ١٤٦

(١٧) راجع النبراس شرح العقائد النسفية ص ٢٦٥ ط باكستان وراجع دكتور محمود عبد المعطى بركات « أثر الإسلام فى بناء المجتمع الفاضل » ص ٥٤ ط الأولى ١٩٩١م.

(١٨) راجع : دكتور يوسف القرضاوى « الإيمان والحياة » ص ٢٠ ط ١٩٨٠ م .

(١٩) راجع : دكتور يوسف القرضاوى « الإيمان والحياة» بتصرف يسير ط السابعة ١٩٨٠م .

(٢٠) القاموس المحيط ص٣١٥ ج١

(٢١) المرجع السابق .

(٢٢) د كتور منصور رجب . « نظام الإسلام» ص ٤٦ ط الأنجلو المصرية ١٩٦٢ م .

(٢٣) راجع : دكتور سعد الدين الجيزاوى . دور العقيدة فى شخصية الفرد والأمة مجلة الأزهر عدد ٣٤ ص ٢٠٦ القاهرة .

(٢٤) د كتور منصور رجب «نظام الإسلام» ص ٤٦ والآية (٣٣) من سورة النساء .

(٢٥) وردت فى سورة البقرة « الذى بيده عقدة النكاح » جزء من الآية ٢٣٧ وفى سورة طه « واحلل عقدة من لسانى » آية ٢٧ وفى سورة المائدة « ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الإيمان » جزء من الآية ٨٩ وفى سورة النساء « والذين عقدت أيمانكم » جزء من الآية ٣٣

(٢٦) كالصحاح . والأساس . واللسان . والتاج . فى مادة « ع ق د » .

(٢٧) الصباح المنير ج ٢ ص ٥٧٠

(٢٨) المعجم الوسيط ج ٢ ص ٦١٤ مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط. الثانية .

(٢٩) سورة البقرة الآية (٢٥٦) .

(٣٠) سورة لقمان جزء من الآية (٢٢) .

(٣١) سورة النحل الآية (٩٧) .

(٣٢) سورة الكهف جزء من الآية (٨٨) .

(٣٣) صحيح مسلم ج١ كتاب الإيمان — باب جامع أوصاف الإسلام ص ٦٥ ط عيسى الحلبى .

(٣٤) صحيح المستدرك للحاكم النيسابورى ج ١ ص ٥٣ مطابع النصر الحديثة بالرياض .

(٣٥) الدكتور / محمد يوسف موسى « العقيدة وخطر الإنحراف » ص ٣٠ سلسلة الثقافة الإسلامية . عام ١٩٦٣ م .

(٣٦) الدكتور / عبد الغنى عبود : «العقيدة الإسلامية والإيدلوجيات المعاصرة » ص١٧ ط الأولى دار الفكر العربى عام ١٩٨٠ م .

(٣٧) الكواشف الجلية عن معانى الواسطية للسلمانى ص ٣٠ نقلا من العقيدة السلفية بين الإمام أحمد بن حنبل والإمام ابن تيمية ص ٢٨ للدكتور سيد عبد العزيز .

(٣٨) العقيدة للشعراوى ص ١٣ . نقلا من المرجع السابق .

(٣٩) سورة الجاثية الآية ٣٦ ، ٣٧

(٤٠) وجملة القول إنها تشير إلى علاقة بين طرفين كما قلنا . يعظم أحدهما الآخر ويخضع له فإذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعا وانقيادا . وإذا وصف بها الطرف الثانى كانت أمراً وسلطانا وحكما وإلزاما .

وإذا نظرنا إليها بين الرباط الجامع بين الطرفين كانت هى الدستور المنظم لتلك العلاقة . و تقوم على معنى الإلتزام والإلزام . فبالنسبة إلى المعبود إلزام لعابده . وبالنسبة إلى العابد التزام بالخضوع وبالنسبة للعلاقة بينهما المبدأ الذى ينظم الإلتزام بين العابد والمعبود . هذا عن كلمة العقيدة نقلا عن الدكتور محمد عبد الله دواز . كتاب الدين ص ٢٧ ط السعادة والدكتور محمود مزروعة دراسات فى العقيدة الإسلامية والأخلاق

(٤١) راجع الاستاذ / محمد جاد المولى بك — الخلق الكامل ج ٢ ص ٨

(٤٢) دكتور / محمد يوسف موسى — « العقيدة وخطر الانحراف » ص ٧ ط الاولى

(٤٣) راجع : أبو بكر الجزائرى « عقيدة المؤمن » ص ١٩ ط الحلبي بالقاهرة .

(٤٤) راجع ص ٨ من البحث

(٤٥) سورة الرعد الآية ١٩

(٤٦) سورة المائدة الآية ٩

(٤٧) سورة الكهف الآية ٣٠

(٤٨) صحيح مسلم جزء ١ كتاب الإيمان — باب بيان الايمان والاسلام والاحسان ص ٣٩. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ط عيسى الحلبي ، والبخارى جزء ١ ص ٢٩ كتاب الايمان من باب سؤال جبريل ط . الحلبي

(٤٩) دكتور / محمد هشام سلطان « العقيدة الإسلامية » الندوة الأولى للدراسات الإسلامية بجامعة أم درمان بالسودان ص ٤٣٥ بتصرف ط . دار الفكر

(٥٠) الشهرستانى « الملل والنحل » . جزء ١ ص ٥١ هامش الفصل

(٥١) مقدمة ابن خلدون ص ٣٩٤ ط كتاب التحرير ١٩٦٦ القاهرة

(٥٢) سعد الدين التفتازانى — العقائد النسفية ص ٧ ط . الحلبى

(٥٣) المواقف للايجى . الموقف الأول — المقصد الأول — المرصد الأول ط أولى عضد الدين الايجى بشرحه المحقق للسيد الشريف الجرجانى على بن محمد ص ٣٤ — ٣٨ . مكتبة كلية أصول الدين القاهرة

(٥٤) سورة الإخلاص

(٥٥) سورة البقرة الآية ٢٥٥

(٥٦) سورة الأنبياء الآية ٢٢

(٥٧) دكتور منصور رجب « نظام الإسلام » ص ٤٨ ط الانجلو المصرية عام ١٩٦٢م

(٥٨) دكتور محمود مزروعة « دراسات فى النصرانية » ص ١٥ ط الأولى ١٩٧٩ ، وراجع الشيخ محمد أبو زهرة « العقيدة الإسلامية » ص ١٠ وراجع الدكتور محمد عبد الله دراز « نظرات فى الإسلام » ص ١٣ ط الأولى مطبعة الجهاد عام ١٩٥٨ م

(٥٩) سورة إبراهيم الآية ٢٤

(٦٠) دكتور محمد عبد الله دراز « نظرات فى الإسلام » ص ١٧

(٦١) سورة فصلت الآية ٣٣

(٦٢) ابن منظور « لسان العرب » ج ٤ ص ٢٢٣٨ ، ط دار المعارف بمصر ١٩٨١م

(٦٣) الفيروز آبادى. « بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز » ج ٣ ص ٣٠٩ ، ط المجلس الأعلى

(٦٤) سورة المائدة الآية ٤٨

(٦٥) الفيومى. المصباح المنير ج ١ ص ٤٢١ ط. السادسة ١٩٢٥م

(٦٦) دكتور/ عبد السلام محمد عبده العقائد الإيمانية فى العقيدة الإسلامية ص ٤٧ عام ١٩٧٩م

(٦٧) سورة المائدة الآية ٤٨، وهذا اشارة إلى أمرين أحدهما ما سخر الله تعالى عليه كل انسان من طريق يتحراه بما يعود إلى مصالح العباد وعمارة البلاد وذلك المشار إليه بقوله :« ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا . » الزخرف ٣٢

الثانى ما قيد الله من الدين وأمره به ليتحراه اختيارا مما تختلف فيه الشرائع ويعترضه النسخ ودل عليه قوله تعالى : « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها » الجاثية الآية ١٨ فهى تأتى فى اللغة بمعنيين مورد الماء للاستقاء والطريقة المستقيمة وكلا المعنيين له ارتباط بالأحكام التى تنظم علاقات الناس راجع الدكتور محمود مزروعة « دراسات فى النصرانية » ص ٣٣ ط الاولى

(٦٨) سورة المائدة الآية ٣

(٦٩) سورة الأعلى الآيات من ١٤ إلى ١٩

(٧٠) سورة النحل الآية ٣٦ جزء منها وراجع الاستاذ سيد سابق « العقائد الإسلامية » ص ٢٠٠

(٧١) سورة فصلت الآية ٤٣

(٧٢) سوره الشورى جزء من الآية ١٣

(٧٣) سوره البقره الآية ١٣٦

(٧٤) سوره آل عمران الآية ٨٥

(٧٥) وقد أشار الرسول الكريم عليه الصلاه والسلام — إلى ذلك « مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه . فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت اللبنة ، قال : فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين رواه أبو هريرة رضى الله عنه راجع صحيح الإمام البخاوى فتح البارى ج ٦ ص ٥٥٨ وصحيح الإمام مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٢٠

(٧٦) دكتور جمال الدين محمود « قضايا اسلامية » ص ١٥ . ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية عام ١٩٨١م

(٧٧) دكتور/ محمد عبد الله دراز « نظرات فى الإسلام » ص ١٢ ، وراجع فضيلة الإمام الاكبر محمود شلتوت « الإسلام عقيدة وشريعة » ص ١١ ط العاشرة عام ١٩٨١م

(٧٨) دكتور محمد عبد الله دراز المرجع السابق

(٧٩) سوره الحجرات الآية ١٣

(٨٠) سوره الشورى الآية ١٣

(٨١) راجع الفيروز آبادى . « بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز » ج ٣ ص ٣١٠

(٨٢) سوره النساء الآية ١٣٦

(٨٣) سوره المائده الآية ٤٨

(٨٤) دكتور عوض الله حجازى « فى العقيدة الإسلامية والأخلاق » بالاشتراك ص ٦ ط الأولى ١٩٧٢ م .

(٨٥) دكتور جمال الدين محمود « قضايا إسلامية » ص ٢٦ بتصرف ط المجلس الأعلى ١٩٨١ م .

(٨٦) دكتور محمود مزروعة ، « الدين وحاجة الإنسان إليه » رسالة دكتوراه ص ٢٥٦ استنسل .

(٨٧) سورة المزمل جزء من الآية ٢٠

(٨٨) سورة البقرة الآية ١٨٣ ، ١٨٤

(٨٩) سورة البقرة جزء من الآية ١٩٦

(٩٠) سورة الشورى جزء من الآية ١٣

(٩١) سورة المائدة الآية ٤٨

(٩٢) سورة النحل جزء من الآية ١٠٦

(٩٣) الدكتور عبد السلام محمد « العقائد الإيمانية فى العقيدة الإسلامية » ص ٤٦ ط الأولى عام ١٩٧٩ م .

(٩٤) راجع : الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت ـ « الإسلام عقيدة وشريعة » ص ١١ ط العاشرة . وراجع دكتور محمد الصادق عفيفى ـ الفكر الإسلامى مبادئه ، مناهجه ، قيمة ، أخلاقياته . ص ٨١ مكتبة الخانكى بالقاهرة عام ١٩٧٦ م .

(٩٥) دكتور محمود مزروعة « الدين وحاجة الإنسان إليه » ص ٢٥٤

(٩٦) دكتور محمد عبد الرحمن بيصار « المختصر فى العقيدة والأخلاق » ص ١٠٩ ـ ط الأنجلو المصرية .

(٩٧) المرجع السابق للدكتور محمد عبد الرحمن بيصار . الطبعة الأولى بمكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧١ م .

(٩٨) الأستاذ أنور الجندى ـ « منهج الإسلام فى بناء العقيدة » ص ١٨ ط الاعتصام .

(٩٩) الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت « الإسلام عقيدة وشريعة » ص ٤٦٣ ، ط العاشرة . عام ١٩٨٠ م .

(١٠٠) سورة فصلت الآية ٣٣ وقال تعالى : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ... » سورة فصلت الآية ٣٠

(١٠١) عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال : « بينما نحن جلوس عند رسول الله ـ ﷺ ـ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ـ ﷺ ـ فاسند ركبته إلى ركبته ، ووضع كفيه على فخذيه . وقال : يا محمد . أخبرنى عن الإسلام ؟ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا . قال : صدقت . قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه . ثم قال فأخبرنى عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال : صدقت . قال : فأخبرنى عن الإحسان . قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال : فأخبرنى عن الساعة : قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل ... إلخ حديث .

(١٠٢) عمدة القارىء للقاضى عياض جزء ١ ص ٢٩١ ـ ط الأولى .

(١٠٣) أبو الحسن الماوردى « كتاب أدب الدنيا والدين » ج ١ ص ٧٢ ، ط الشعب .

(١٠٤) سورة الروم الآية ٣٠

(١٠٥) دكتور محمود مزروعة « الدين وحاجة الإنسان إليه » ص ١٨

(١٠٦) هذه الدوافع يمكن التخلى عنها بعد التحلى بها ، وقد يكون فى ذلك صعوبة تختلف قوة وضعفا باختلاف هذه الشرائع . فقد يكسب الإنسان عادة التدخين مثلا حتى يصبح ذلك دافعا من دوافعه يصطبغ به كثيراً من تصرفاته ... ولكن أثر هذه الدوافع ليس ضروريا ولا حتميا وقد يستطيع الإنسان بقليل أو كثير من الجهد والعناء بالضغط على أعصابه ومقاومة شهواته أن يتجنب نهائيا هذا الدافع من نفسه وكأنه لم يكن . نقلا من « الدين وحاجة الإنسان إليه » للدكتور محمود مزروعة ، ص ١٨

(١٠٧) دكتور مصطفى فهمى « مجالات علم النفس » ص ١٠ نقلا من الإتجاه الأخلاقى ص ١٨٤

(١٠٨) دكتور مصطفى سويف « مقدمة فى علم النفس الإجتماعى » ص ١٩٧ ط الثانية نقلا من المرجع السابق للدكتور مقداد يلجن ص ١٨٤

(١٠٩) دكتور محمد عثمان نجاتى « القرآن وعلم النفس » ص ٢٣ ط الأولى دار الشروق ١٩٨٢ م .

(١١٠) والميل هو : توجه من الإنسان لشىء يتصوره ويدرك الغرض منه والغاية المترتبة عليه فالإنسان لا يدافع المانع إلا من أجل شىء يميل إليه ، ولا يميل الإنسان إلى شىء إلا إذا كان يتصوره ويدرك منه الغرض والغاية والميل بالفتح عرفه الشيخ بن سيناء فى رسالة الحدود بالكيفية التى بها يكون الإنسان مدافعا لما يمانعه وهذا راجع إلى الأول

لأن نفس المدافعة كيفية يكون بها الإنسان مدافعا . نقلا من تأملات فى فلسفة الأخلاق . د . منصور رجب ص ٨٨

(١١١) وذلك بمعنى : أنه كلما كان الدافع حديثاً أو مكتسبا كلما كان أثره قليل الأهمية وغير ضرورى ولا حتمى . نقلا من « الدين وحاجة الإنسان إليه » للدكتور محمود مزروعة ص ٢١

(١١٢) الأستاذ عباس محمود العقاد « كتاب الله » ص ٩ ط الثانية دار المعارف بمصر .

(١١٣) دكتور محمود مزروعة المرجع السابق ص ٢١

(١١٤) دكتور الكسيس كارل « تأملات فى سلوك الإنسان » ص ٢٩ ط الأولى . عام ١٩٤٩

(١١٥) دكتور مصطفى سويف « مقدمة فى علم النفس الإجتماعى » ص ٢٧ نقلا من « الإتجاه الأخلاقى للدكتور مقداد يلجن ص ١٨٥

(١١٦) مجلة التربية الحديثة الصادرة من الجامعة الأمريكية مجلد ١ ص ١٥٤ نقلا من الإتجاه الأخلاقى ص ١٨٦

(١١٨) صحيح البخارى كتاب الجنائز باب ٣٩ — إذا أسلم الصبى فمات هل يصلى عليه وهل يعرض الصبى على الإسلام ج ٣ ص ٢١٩ ط المكتبة السلفية . الإمام أحمد ج٢ ص ٢٥٣ والحديث رواه أبو يعلى والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى السنن — فيض القدير ج ٥ ص ٣٣ والحديث نص فى إثبات الوراثة والبيئة . إذ تمامه كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه ... إلخ .

(١١٨) المرجع السابق

(١١٩) سورة الروم جزء من الآية ٣٠

(١٢٠) تفسير ابن كثير ص ٤٣٢ ج ٢

(١٢١) دكتور سعد محمد محمد الشيخ « المرصفي » معالم فى السلوك ص ٢٩

(١٢٢) الأستاذ سيد قطب «فى ظلال القرآن» ج ٢ ص ٤٥٤ وتفسير القرطبى ج٤٢ ص٢٩ وتفسير الجلالين ص ٣٤٠

(١٢٣) دكتور سعد المرصفى « معالم فى السلوك » ص ٨

(١٢٤) سورة الروم الآية ٣٠

(١٢٥) سورة الشمس الآية ١٠

(١٢٦) سورة الزمر الآية ٨

(١٢٧) صحيح الإمام البخارى المطبوع مع فتح البارى لابن حجر ج٣ ص٢٤٥ حديث رقم ١٣٨٥

(١٢٨) سورة الأعراف الآية ١٧٢ ، ١٧٣

(١٢٩) تفسير ابن كثير ج٢ ص ٢٦٤

(١٣٠) الأستاذ/سيد قطب « فى ظلال القرآن » ج٣ ص ٦٧١

(١٣١) دكتور / محمد عثمان نجاتى « القرآن وعلم النفس » ص ٤٧ بتصرف يسير مع تقديم وتأخير . ط دار الشروق عام ١٩٨٢ م .

(١٣٢) دكتور يوسف القرضاوى « العبادة فى الإسلام » ص ١٨

(١٣٣) الأستاذ/ أنور الجندى « منهج الإسلام فى بنـــاء العقيدة والشخصية » ص ٣٩ ط دار الإعتصام .

(١٣٤) سورة الحجرات الآية ١٣

(١٣٥) دكتور محمد عبد الله دراز « كتاب الدين » ص ١٠١

(١٣٦) المرجع السابق بتصرف يسير .

(١٣٧) دكتور محمد عبد الله دراز « المرجع نفسه » ص ١٠٢

(١٣٨) فضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود ــ الإسلام وتنظيم المجتمع ص ٥

(١٣٩) دكتور محمد عبد الله دراز « كتاب الدين » ص ١٠٢

(١٤٠) ويتبين ذلك بالنظر فى التشريع الوضعى وذلك أنه إذا وجد الإنسان فرصة للخروج عليه دون أن يضبط فلاجناح عليه مادامت عين القانون لم تلمحه لدرجة أن بعض الفلاسفة المنحرفين مثل نيتشة الذى أشاد به اليهود يقول : « إذا أمكنك أن تخرق القانون الوضعى بحيث لاتقع تحت طائلته فأهدمه ، إذا استطعت هدمه ، وإذا كان ذلك فى مصلحتك بشرط أن تكون ذكيا لاتقع تحت طائلته وبتعبير آخر إذا كنت تقود سيارتك بسرعة فائقة وصدمت إنسانا ، وقتلت بذلك النفس التى حرم الله بغير حق واستطعت أن تفر دون أن تضبط ، ودون أن يتمكن أحد من التقاط رقم سيارتك ونجوت من المحاكمة والعقاب فإنك تكون ماهراً ، لأن القانون الوضعى لم يضبطك ، أما القانون الإلهى فهو يكفى الإنسان ظاهراً وباطناً ، بينما القانون الوضعى لايكفيه إلا ظاهراً فالله عليم بذات الصدور ولكن القانون الوضعى عليم بما يراه الشهود فحسب نقلا من « الإسلام وتنظيم المجتمع للدكتور عبد الحليم محمود » ص ١٦

(١٤١) دكتور محمد عبد الله دراز « كتاب الدين » ص ١٠٢

(١٤٢) دكتور محمد حسين الذهبى « الدين والتدين » ص ٥٤ من مجلة البحوث الإسلامية ج ١ سنة ١٣٩٥ هـ ، ط الرياض .

(١٤٣) الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت « من توجيهات الإسلام ص ٢٢ ط السابعة ١٩٨٠ م

(١٤٤) دكتور محمد عبد الرحمن بيصار « العقيدة والأخلاق وأثرهما فى حياة الفرد والمجتمع » ص ٩٢ ط ، الرابعة ، ط الإنجلو المصرية .

(١٤٥) دكتور محمد عبد الله دراز « كتاب الدين » ص ١٠٢ مع تقديم وتأخير.

(١٤٦) وذلك أن التدين والدين بمعنى واحد من حيث الاستعمال ، راجع دكتور محمد عبد الله دراز « كتاب الدين » ص ٢٥

(١٤٧) دكتور محمد عبد الله دراز « المرجع نفسه » ص ٢٥

(١٤٨) راجع دكتور محمود مزروعة « الدين وحاجة الإنسان إليه ».

(١٤٩) المشير أحمد عزت باشا « كتاب الدين والعلم » ص١٧٣ وراجع دكتور محمد عبد الله دراز « كتاب الدين » ص ١٠٣

(١٥٠) سورة الروم جزء من الآية ٣٠

(١٥١) سورة التين الآية ٤

(١٥٢) سورة الإسراء الآية ٧٠

(١٥٣) سورة الأنعام الآية ١٢٢

(١٥٤) أبي الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى ، أدب الدنيا والدين ص ٣٨ جـ ١ ، ص ٤٢٥ جـ ٢ ط الشعب.